للعلم
والفن
والادب

المجلة الشهرية

للرجال
والسيدات
والاولاد

لصاحبها اسكندر مكاريوس صاحب اللطائف المصوره والروايات المصورة والعروسة
ومجلة الاولاد . ينشئها نخبة من الكتاب برياسة الاستاذ نجيب شاهين

الجزء العاشر — فى ١ نوفمبر (تشرين الثانى) سنة ١٩٢٥ — السنة الاولى

مصطفى كمال ولطيفه خانم

طلاقه لها

— نابوليون وجوزفين —

لطيفة تشبه نفسها بجوزفين مطلّقة نابوليون — وتقول انها طلقت لاغراض سياسية — مطامح رئيس الجمهورية قد تقوده الى طلب الخلافة وعقد زواج آخر

***

كثرت الاقاويل في تركيا على أثر اعلان الغازي مصطفى كمال باشا منقذ تركيا ورئيس جمهوريتها انه طلّق لطيفة خانم زوجه الجميلة الشابة المطالبة بحقوق الانتخاب للنساء . وما كاد نبأ هذا الطلاق يقرع مسامع أوربا حتى شخصت حكوماتها وصحافتها بأبصارها الى تركيا تستفسرها عن هذا الحادث لان الملوك والامبراطرة أو الاشخاص المطلقين كقاهر اليونانيين ذى الشعر الاشقر والعينين الفولاذيتين والوجه المتجهّم — لا يبرمون عقود الزواج ثم يحلونها لأتفه الاسباب

أما الحكومة التركية فتكتم سبب هذا الطلاق كل الكتمان وعمّال مصطفى كمال وممثلوه في كل مكان يقولون ان المسئلة كلها « شخصية صرفة » . وقد يكون ذلك صحيحاً اذ المشهور عن الحكام الشرقيين انهم يتبعون هوى قلوبهم في مسائل مثل هذه . ولكن لطيفة خانم قالت على ملإٍ من الناس ان مسئلة هذا الطلاق كمسئلة طلاق نابوليون وجوزفين . قالت :

« أحببت زوجي وبذلت كل جهدي في مساعدته على تحقيق مطامحه من نحو نفسه وبلاده ولكن زواجنا عثرة في سبيل تقدمه الى أبعد مما جرى حتى الآن . فالواجب والحالة هذه ان يضحّى بالمرأة كما حدث في مسئلة جوزفين

النازى مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية

وقد كنت واياه أسعد زوجين في جنة عدن التي لنا حتى جاءت الحية . فمن هي الحيّة ؟ هذا هو السر وسيدفن معي . ويكفي العالم ان يعلم ان زوجي بلغ حداً اعتقد عنه ان لا غنى له عن اختيار أحد أمرين فاما شريكته واما مستقبله فاختار »

ولم يكد نبأ هذا الطلاق يعلن ويعلن معه تشبيه لطيفه خانم اياه بطلاق نابليون وجوزفين حتى ماج العالم الاسلامي كله من المغرب الاقصى الى كاشغر وثار بركان الشرق الادنى يقذف حمماً ورعوداً لم نسمع أشد قصفاً منها منذ حادث «شناق» (وهو الحادث الذى أنزل المستر لويد جورج من منصة الوزارة البريطانية وقلب معاهدة سيفر وخريطة شرق بحر الروم) . وقد حاول الساسة ورجال الصحف معرفة السر الذي حملته لطيفة خانم مدفوناً في صدرها من قصر الرآسة فى انقرد الى بيت أبيها فى أزمير فلم يفلحوا . ولعلّ درس العاصفة التي تقصف فى جو الموصل تهدينا اليه فلننظر

لطيفة خانم زوجة مصطفى كمال سابقا ومطلقته حالاً

نابوليون وجوزفين

لما أحبّ نابوليون جوزفين كان ضابطاً صغيراً وفقيراً في المدفعية وكانت مساعدتها له عظيمة القيمة في انفاذ مشروع العظمة الذي كان يعدّهُ ولمّا ينضج . ولما طلقها بعد ذلك بثلاث عشرة سنة كان ذلك الطلاق لتعزيز مركزه ومركز عائلته في السرير قبل خوضه غمار أعظم الحوادث التى كان يستعد لها وهي حادثة غزوه لروسيا وقد كان لا بد منها بعد ان ظهر ان معاهدة تلست التي عقدت سنة ١٨٠٧ لم تكن سوى هدنة لاغير

فان يك ثمة من شبه بين تاريخ جوزفين ولطيفه خانم فلا بد من ان يكون تطليق كمال لزوجه سياسياً . ولدت جوزفين سنة ١٧٦٣ في المرتينيك وتزوجت الفيكونت بوارنيه صغيرة وكانت سنة ١٧٩٥ زعيمة من زعماء الاشتراكية فتزوجها نابليون سنة ١٧٩٦ وكان هذا الزواج محالفة سياسية اذ ضمن له قبل حروبه الايطالية والمصرية وهو لا يزال جنرالا صديقة ذات نفوذ عظيم في مجالس الديركتورا

ووقعت خصومات متعددة بينهما لكن زواجها اجتازها سالماً الى آخر عهد القنصلية . ثم لما نودي بنابليون امبراطوراً سنة ١٨٠٤ خافت جوزفين مزيد الخوف على مركزها فطلبت قبيل حفلة التتويج وضع عقد زواج أوفى من الاول . ولكن لما ظهر بعد ذلك بخمس سنوات انها عقيم ألفى رجال الدين في باريز عقد الزواج بحجة غلطة « فنية » فيه فجعل نابليون يفتش عن أخرى تكون زوجة وامبراطورة . فطلب أولا شقيقة قيصر روسيا ولكن امبراطور النمسا قبل ان يزوج ابنته ماري لويز لهذا الكورسكيّ خشية ان يفضي تحالف فرنسا وروسيا الى سحق امبراطورية النمسا

الزعيمة خالدة لا لطيفة

ولم تدّع لطيفة خانم يوماً ان لها نفوذ جوزفين وكلُّ ما لها من الشأن عائد على حركتها الانثوية حتى قال بعضهم انها هي زعيمة الحركة النسائية التركية في حين ان زعيمة هذه الحركة التي يقصد بها الى ازالة الحجاب « والحريم » انما هي خالده خانم المؤلفة والسياسية . فقد كانت من أركان النضال القائم على الاستقلال الوطني وكانت كلمتها مسموعة من أول الامر في مجالس حكومة انقره . وتقلب أحد أزواجها السابقين في المناصب الوزارية وكانت هي التي ترسم له الخطط السياسية وهو الذي ينفذها . وزوجها الحالي ادران بك هو أحد مبعوثي الاستانة في الجمعية الوطنية . ولم تحدد حتى الآن موقفها كسياسية ذات خطة عملية من جهة تعدد الزوجات بل فضلت ترك القانون فيها يجري في أثر التقاليد القديمة المرعية . ومعلوم ان تعدد الزوجات لا يكاد يكون معروفاً في مدن تركيا ولكنه لا يزال معمولاً به في قراها بين الفلاحين وخصوصاً في كردستان

وقد كان تحويل تركيا الى بلد عصريّ في عاداته أسرع من أن يستطيع أولئك المحافظون من المسلمين مجاراته . وفي الربيع الفائت ثار الكرد ثورتهم الكبرى بزعامة الشيخ سعيد

فوقفت الى حين حركة التجديد والاصلاح التى تقوم بها جمعية تركياغي العظيمة الحول والطول ولكن سنحت لمصطفى كمال فرصة كان يرقبها بذاهب الصبر فاغتنمها فعزز بذلك موقفه فى تركيا وموقف تركيا في العالم الاسلامي كل التعزيز

وتفصيل هذا الاجمال ان الاستياء من خطة الحكومة الاصلاحية بلغ حده الاقصى في ولايات تركيا الشرقية فقام رجال الدين المتعصبون في ولايات طرابزون وبتليس ووان وأرضروم يذيعون ان انقره أخذت تحيد عن مبادئ الاسلام القويمة . وكان يقود حزب الاعتدال فى انقره فتحي بك رئيس الوزارة والمتطرفين الخوجه رئيف افندي فقاموا يعارضون مشروعات الحكومة الاصلاحية التى يقصد بها اصارة تركيا بلداً عصرياً فى عاداته ومعاملاته

ولما قامت ثورة كردستان سقطت وزارة فتحي بك فتألفت وزارة جديدة برآسة عصمت باشا « الحربجي » الذي أذلّ ممثلي الحلفاء فى لوزان وتحدى الامبراطورية البريطانية فى «شناق» وطرد اليونانيين الى البحر فى أزمير . فأخمد ثورة كردستان على عجل اذ وجه فيلقاً اليها فأطبق على ديار بكر وأسر الشيخ سعيداً ولم يمض شهران حتى باتت الثورة فى خبر كان

وكانت نتيجة هذا النصر زيادة سلطة كمال فى شؤون تركيا فان اخضاع كردستان بجبالها الوعرة وصعوبة السير فيها لقلة المواصلات يعد عملاً باهراً من الوجهة العسكرية . وقد كان له أعظم أثر خارج تركيا ولا سيما ان الانجليز الموكلين بالعراق والهند مازالوا يسعون منذ سنة ١٩١٨ فى جعل كردستان مستقلة وقوية بحيث تستطيع الوقوف وحدها على قدميها فتكون للعراق بمثابة حاجز يدفع الخطر عنها كما كانت افغانستان فيما مضى من الزمان حاجزاً يدفع الخطر عن بنجاب وشمال الهند

ولا نعلم هل وجد الشيخ سعيد فى هذه الثورة مشجعاً من نفوذ انجلترا . ولكن لاريب فى أن خذلانهُ يعدّ فشلاً للسياسة الانجليزية فى الشرق الاوسط اذ من المعلوم أن مصطفى كمال بطل الدردنيل وباني بناء الجمهورية التركية العصرية رجل ذو مطامع عظيمة . وقد بلغ الآن أوج سموّه

. . . . . .

كمال والخلافة

ان الذين يحسبون ان مصطفى كمال يسعى الى الخلافة يقولون لك انه لم يحل بينه وبين

(البقية على الصفحة التالية)

العلم سنة ٢٤٢٤

أي بعد ٥٠٠ سنة

تكهّن كاتب

[هذا المقال في مستقبل العلم من قلم كاتب وروائي يعدّه قومه أنبغ كتاب هذا العصر وهو المستر ولز . زادته الحرب الماضية شهرة اذ تكهّن بأمور كثيرة عن سير الحرب ثم أبدت الأيام صدق تكهنه ولكنه أخطأ كذلك فى أشياء كثيرة ولو عدّت سهامه الصائبة والطائشة لتساوتا ولكن صدق تكهن رجل في المسائل الكبرى يقع في نفوس الناس أعظم وقع ولو كان تكهنه مفرداً حتى لينسوا خوطئه الأخرى مهما يكثر عددها]

* * *

كانت المئة سنة الماضية قرناً مفعماً بالمخترعات الميكانيكية الناشئة عن المكتشفات الطبيعية والكيميائية حتى ليصح عده زاوية في التاريخ الانساني . كذلك تقدم علم الطب والجراحة تقدماً عظيما بفضل المخدرات ومضادات الفساد وتطبيق علم المكرسكوب ولكن هذه كلها نتائج في تقدم علمى الطبيعة والكيمياء . وزادت معارفنا البيولوجية كثيراً فأثرت أعظم تأثير في العقائد الدينية والآراء الادبية النفسية ولكنها لم تفض حتى الآن الى نتائج عملية ثورية فى شؤون الناس كما افضت اليه العلوم غير العضوية (الآلية) وكان لها أثر يذكر في السيكولوجيا أو علم النفس كما سأبينه فى هذا المقال ولكنها لم تنتج أثراً محسوساً

واذا تكلمنا عن المخترعات وانتصار العلم فانما نعنى اكتشاف البخار وبناء البواخر والآلات البخارية الكبرى وسرعة السفر والنقل والكهربائية واللاسلكية والطيران . ثم

(تابع المنشور على الصفحة ١١٢٥)

هذا المطمح سوى شخص واحد وهو لطيفة خانم زوجته فلما زالت زال كل حائل امامه ولو شاء كمال لتزوج مرة أخرى ولكانت زوجته الثانية من نسل النبي . فاذا فعل ذلك فلا يبعد أن يكون خليفة وأن ينيل الاسلام تلك المزايا القديمة التي أنيلها على أيدى آل عثمان . وحينئذ نعلم هل كانت لطيفة خانم « جوزفينا » فأطرحها كمال لانها لم تكن ملائمة لمطامعه السياسية كما طرح نابوليون جوزفين من قبل — ملخصة من جريدة اميركية

اذا تكلمنا عن تقدم العلم في المستقبل فانما نعني تقدمه في مثل هذه المخترعات الميكانيكية ولا يبعد ان يمضي زمان طويل لا نسمع فيه بمخترعات عظيمة الشان في عالم الطبيعة والميكانيكيات . وهذا هو اعتقادي

— سير العلم البطيء —

ولكن ذلك لا يمنع اطراد التقدم في التفاصيل والكفاية والشؤون الاقتصادية فتنزل سكك الحديد الحالية في الخمسين سنة الآتية كما هو المرجح عندي لبطئها وكثرة ما يسرف فيها (من الوقت والقوة والمادة) . وقد يطرد تقدم الطيارات والبالونات ويتم لنا نقل الصور باللاسلكية كما تم نقل الاصوات وتمسح الاصقاع القطبية ونرسم لها الخرط . أما تقدم الطيارات فلا يتناول سوى تحسين صنعها . وأما تقدم اللاسلكية فلا يزيد على تقدم في سرعة النقل وسنحصد الحصاد العظيم من حقول العلوم الطبيعية بعد حرث وزرع وتعهد بالسقيا وتعب دامت مائة عام ولكن سوف يمضي زمان طويل لا نحصد فيه من تلك الحقول شيئاً جديداً أو شيئاً يصح نعته بالثورى

ولكن هذا التكهن قد يظهر لبعض القراء انه مناقض لكثير مما ينتظرون ويؤملون من سير العلم فيسألونني ما قولك دام فضلك في جميع المكتشفات الطبيعية الجديدة التي نسمع بها كل يوم كمذهب اينشتين والقوة الكامنة في الجوهر الفرد ؟ فأقول جواباً لهذا السؤال ان هذه الاشياء هي في نظري البراعم الاولى من ربيع آخر قد يكون حصاده بعيداً عنا مئات السنين . والمرجح اننا لا نجني من أمثال هذه المكتشفات شيئاً يذكر سوى العجب منها مدة طويلة . نعم ان طريقة تفكير اينشتين في الزمان والمكان طريقة مبتكرة أكثر استقلالا وأوسع حيلة من الطرائق السابقة لها ولكن لا يرجى أن يكون لها تأثير عملي قريب في معيشة الانسان

والكلام كثير لا طائل تحته في الجواهر الفرد والقوة المذخورة فيه . وقد نستطيع أن نصوغ من ذلك خيالا واسع المجال ولكن المجال ضيق دون تطبيقه تطبيقاً عملياً على حاجاتنا اليومية في مستقبل قريب . وقد عرفنا أن بعض العناصر أو معظمها أو كلها في نظام الزمان والمكان الذي نسميه بالفضاء آخذة في تحول أو انحلال دائم لكنه بطيء جداً في معظم الاحوال وان قوة تنشأ عن هذا الانحلال . وقد بدأنا نستعمل بعض تلك القوة استعمالا فجًّا كما يرى من

المعالجة بالراديوم في الطب . ولكن لم يدر في خلد أحد حتى الآن طريقة ما أو اقتراح يمكن به تعجيل ذلك الانحلال أو تأجيله . ولا يرجو العلم المعروف الآن أن يتمكن من ذلك أكثر مما يرجو أن يتمكن من العبث بقوة الجاذبية فيثقل الاشياء أو يخففها كما يشتهي

وعندى ان الناس فى المستقبل لن يدركوا حقائق هذه الامور ويستطيعوا استعمال القوة المكنونة في الجوهر الفرد وتطبيقها على شؤونهم اليومية تطبيقاً عملياً الا بعد مرور وقت طويل تكاد اسماء اينشتين وكورى وصدى تكون عندهم نسياً منسياً كاسمى ارخميدس وهيرو عندنا . فقد وصف هيرو آلة بخارية قبل استعمال البخار بتسعة عشر قرناً . ووصف ارسطو خواص كهربائية الاحتكاك والفرك في زمانه أي قبلما جنى الناس منها نفعا بنحو الفي سنة أو أكثر

السير ولز كاتب المقالة

بحث الانسان فى نفسه

كان القرن الماضي أعظم القرون في التقدم المادى. وسيكون هذا القرن والذى يليه قرن الحصاد وقطف ثمار العلوم النفسية (السيكولوجية) والفسيولوجية (علم وظائف أعضاء الجسم) فانه بعد ما تمكن الانسان من اكتشاف اقطبين والطيران حول الارض فى ثمانية أيام والتخاطب من أقصى مكان فيها الى آخر فى أقل من لمح البصر فلا عجب اذا تحول بعد ذلك الى نفسه يحاول سبر غورها كما سبر غور البحر الخضم والفلك الاعلى

ولا بد لنا هنا لسوء الحظ من التنبيه على ان هناك فرقاً واسع المدى بين ما نريد بالعلوم النفسية وبين التجارة الغريبة القائمة على تبادل الرسائل بين الاحياء والاموات مما سمي بالعلم النفسى (بسيكك أو سيكك كما تلفظ بالانجليزية) فان هذه التخرصات كلها تهم العالم النفسى لا لأنها ترفع الحجاب عن طبيعة الناس والاشياء وتظهرها لنا بنور الحقيقة بل لانها ترينا ضعف العقل الانسانى في طلب الحقيقة والبحث عنها

ولقد راقب كاتب هذه السطور مدة ثلاثين سنة بعد خروجه من المدرسة هذا السيل الطامى من العرافة والتجارب الخاصة بانتقال الافكار والبحث العلمي الكاذب وبقي بضع سنوات عضواً في جمعية المباحث النفسية الانجليزية . وشاهد اعمال العرافين وقرأ كتباً في هذا الموضوع بقدر ما تمكن قراءتها .وسمع المرحوم المستر ستيد يقص قصصاً غريبة. وتتبع مسلك السر آرثر كونان دويل والسر أوليفر لودج فزاد اعتقاداً ان ليس في هذه السحابة (١) من الشهود ولا فى هذا الضباب من الشهادات الرجعية مثقال ذرة من الحقيقة الملموسة بل كل ما هنالك انما هو خداع متعمد أو خداع غير متعمد أو انخداع أو رغبة في تصديق العجائب أو فى صنعها . أو الاعيب أناس متعددى الشخصية.أو معالجة المتشابهات وغرائب الاتفاق معالجة خالية من روح النقد والتمحيص . أو عناد البعض وتشبثهم بمعتقداتهم . أو تقاليد قديمة عن الارواح والسحر . أو أوهام تعامل معاملة الحقائق . أو انحطاط أدبي وتخيلات غريبة ناتجة عن استعمال بعض العقاقير المخدرة

صورة الكاتب ينظر بعين الخيال الى المستقبل متكهنا واما مه وخلفه آلات المستقبل وعدده وكتبه

وكلما مرت الايام قلّ كاتب هذه السطور اهتماماً بما يقال عن النقر على الموائد وتحريكها وبما يفوه به الوسطاء من الاحاجي والألغاز وما يزعمون من معرفة أفكار الذين يشهدون جلساتهم

التحليل النفسي

على ان أعظم ما يبشر بالنجاح فى علوم العصر الحالي هو ما يسمى بالتحليل النفسي أي درس المقاصد الانسانية . فان علم النفس (السيكولوجيا) الذى درسته فى المدرسة منذ ثلث

(١) مجاز مستعار من قول بولس الرسول فى الانجيل

قرن وأخذت عليه الدبلوما كان من أفرغ العلوم وأفقرها . والكتب التى كتبت فيه كانت بهجة المنظر تقع موقعاً رفيعاً فى النفس ولكنها لا تفيد أمراً ما كقوس النصر أو كبرج ايفل.

ومنذ ذلك العهد تقدم هذا العلم تقدماً عظيماً على يدى فرود وجانغ . . . . . .

. . . . . .

فانهما ارتأيا رأياً جديداً فى طبيعة الانسان الباطنيـة من حيث كونه مجموعة دوافع وضوابط وعلمانا كيف نفكر ونعمل ولِمَ نستسهل أشياء ونستصعب غيرها . ولِمَ نصدق ونكذب . وزاد كذلك علمنا بالعقل فى الافراد والجماعات . وهذه الطرائق الجديدة والآراء الجديدة والمكتشفات الجديدة جعلت تغير مذاهبنا الأساسية فى نمو العقول وعملها وتفاعلها وسيتبع ذلك انقلاب كبير فى طرائق استعمال عقولنا وتربيتنا وادارة الجمعيات الانسانيـة كالانقلاب المادي الذي تبع استعمالنا للبخار والفولاذ والكهربائية فى مائة السنة الماضية

وعندى ان مائة السنة القادمة ستكون في جوهرها « قرن السيكولوجيا التطبيقية » أي زمناً يطبق فيه هذا العلم على العمل ويعترف هـذا التطبيق بكثير من البحث الفسيولوجي الخاص بالغدد والاحوال العصبية والمقاقير والمفرزات . فيكون هذا الانقلاب المعنوي أعظم قدراً وأثراً من الانقلاب المادى الذى شـاهده أجدادنا في القرن الماضي على أثر مد سـكك الحديد وعقد الجسور وحفر الترع وما شاكل ذلك مما غير وجه الارض فمحا معالمها القديمة وأقام معالم جديدة مكانها

وسيظهر أثر الانقلاب المعنوى الجديد في اضطراب السـطح العقلي وظهور الايجاز في الفنون وزيادة اهتمام القـارئ بما يقرأ وعدول الكاتب عن المصطلحات القـديمة الجذابة في الأدب وهجر كثير من قيود الفكر والعمل وضوابطها في الماضى وبناء الافكار القضائيـة والسياسية والمالية والاقتصادية على السيكولوجيا

صنف جديد من التربية

ولا يمضي الا القليل حتى نبدأ ندرك أن في العالم صنفاً جديداً من التربية يعمل عمله ومن مميزاته انه يقصد الى غرض أظهر مما تقصد اليه أصـناف التربية الحالية وهو متصـل كل الاتصال بآراء جديدة وأكثر وضوحاً في سيكولوجيا الحياة الاقتصادية والسياسية . وقد كان أعظم ما يميز طرق تربيتنا الحالية عدم اتصالها بحقائق معيشتنا وبعبـارة أخرى ان الأولى لم

تفض الى الثانية بل تقاصت عنها الى طرق أصغر منها ولكنها آنق وأبهج منظراً .فان مدارسنا وجدت لتخرج لنا رجلا غيورين على الوطن وبدلاً من أن تصنع ذلك أنجبت لنا نفراً قليلا ساروا في طريق النجاح ولكنها لم تجهزهم بالعدد اللازمة في هذا الكفاح . وما لهذا الفشل من سبب سوى ان الهيئة الاجتماعية الحالية ليست ذات مذهب معين واضح الحدود في المقاصد والغايات فنشأت حياتنا الاقتصادية والمالية وكثير من حياتنا الاجتماعية وهي خالية من ذلك المذهب ومستقلة عن مدارسنا

ولكن هذا التخبط في نوع المعيشة الحالى ليس شرطاً لازماً أو دائماً فيها فان فطنة الانسان تمقته ولا بد أن تتغلب عليه . والعالم كله يعيش الآن في زمن أظهر ما فيه عظم انحلاله وتجدده . فاذا عجزت مدارسنا عن اخراج شبان مدربين على العيشة النظامية فما ذلك الا لان هذه العيشة لا وجود لها

لكن هذا الحال لا يدوم فان عقل الاستاذ الذكي يتمرد على هذا التخبط فى عمله وعلى اخراج شبان الى عالم بلا خريطة . وهو يدرك ان تعليمه لا يكون ذا أثر يذكر ما لم يَرَ بوضوح وجلاء ماهية المعيشة التى يدرّب التلميذ عليها

واعلم أن المدرسة جزء من علم السياسة فان السيكولوجيا التطبيقية (العملية) التى تعطي قوة حقيقية فى ترقية الافكار والمقاصد التهذيبية هي نفسها تعطي الناس خارج المدرسة قوة لتصور نظام سياسي واجتماعي مبني على توازن فى المقاصد والغايات أبعد مما نستطيع ادراكه الآن بقوانا الحالية

ومن أعجب العجب أن الناس يستصعبون فكرة التغير العقلي فى شؤونهم دون فكرة التغير المادى . فاذا قلت لهم انه لا يمضي زمن طويل حتى يتمكن المرء من السفر الى القمر أو الى مركز الارض للنزهة أو من الوثوب الى فضاء غير هذا الفضاء أو إطالة العمر الى مائة وخمسين سنة لم يَرَ فى ذلك شيئاً غريباً بعيداً عن الامكان . ولكن اذا قلت لهم ان العالم سيرى عن قريب نظاماً للتربية والاجتماع والاقتصاد يفوق في عظمه واتقانه النظام الحالى كما يفوق القصر المشيد الكوخ الحقير أوالباخرة الحديثة قارب الهمجي — اذا قلت لهم ذلك انفضوا رؤوسهم استهزاءً وسخروا من هذه الفكرة السخيفة فى زعمهم اعتقاداً أن المدرسة ستبقى على الدوام مكاناً مظلماً مملاً كما هي الآن والمعلم كما هو الآن من عدم الكفاية وقلة الأجر . وسوق الاعمال والاشغال بائرة كاسدة كما نراها والاستخدام رائده الملل والكد غير المنتج كما نعهده

ويظنون أن الحرب والجرائم وأسباب الفشل ستبقى في المستقبل كما هي الآن ولكن تطبيق علوم العلائق العقلية هو الكفيل بتغيير هذه الاشياء كلها وهو أرجح ما يرجو الناس حدوثه فى أقرب زمان

عدم تغير الطباع

قال قائل ان سيرة الناس العامة لا بد أن تصبح فى مستقبل قريب أسمى من سيرتهم العامة الحاضرة فيكون الفرق بين الاثنين كالفرق بين سيرتنا الآن وسيرة أهل قرية من آكلي لحوم البشر فى قلب افريقيا

قال قائل هذا القول فردّ عليه سامعودُ بقولهم « انك لن تستطيع تغيير الطبيعة البشرية » . وهذا صحيح من وجه ولكن لا علاقة له البتة بالموضوع .فليست الطبيعة البشرية وحدها هي التى لا تتغير بل كل شيء لا يمكن تغيير طبيعته . والطبيعة نفسها لا تتغير . ولكننا تعلمنا فى مائة السنة الماضية أن نصنع عشرة آلاف شيء مع الطبيعة لم نكن نعرفها من قبل . وسنتعلم فى القرون المقبلة أن نصنع عشرة آلاف شيء مع الطبيعة البشرية لا نعرفها الآن . وذلك كله بفضل القوة الانشائية والتجديدية المتسلطة على المقاصد الانسانية والمذخورة فى علم السيكولوجيا

ان أشبه الاشياء بحالتنا الحاضرة حالة الفلاح الاميركي فى أواسط القرن الماضي وقد حمل مركبته خشباً وسار وسط السهول القفراء في داخلية البلاد والمخاطر تحفه من كل جانب — خطر الموت عطشاً وجوعاً ومرضاً وخطر الوقوع فى أيدى الهنود الاميركيين . فلو أوتى ذلك الفلاح شيئاً من روح الالهام والنبوّة لرأى بعين خياله ما قدّر لحفدته من قطرات تشق عباب السهول الجرداء كما تشق السفينة عباب الماء وتحمل خشبهُ ومواسمهُ ومواشيه وتسير به مطمئناً آمناً كل خطر

هكذا نحن نمشي الآن في فجر ضئيل تحت جنح ليل بهيم من الانقسام ونقد الأمن والظلم واغتصاب العمال وقلة السلع فى الاسواق مع كسادها وبوارها وأحقاد وحزازات لا يمكن شفاؤها واشاعات بحروب جديدة . وليس بمستصعب على أولئك الذين أوتوا مثقال ذرة من الايمان وشيئاً من روح الالهام والنبوّة أن يروا بعين ايمانهم خلاصاً جديداً للناس يخرجون به الى بحابح الأمن على النفوس والسلام العام وانتاج يكفى جميع حاجاتهم وحياة مشتركة موسومة بالعمل العام والمعروف والمصالح الحية والاقدام والرجاء

ان نظام العدل فيما بيننا بما فيه من قوانين وشرائع وما يتبعه من محاكم ومحاكمات ومحامين انما هو نظام قاس بربرى ورثناه عن عصور الظلمة الماضية ظلمة القرون الوسطى . فلا يدخل المحكمة اذا كان يستطيع اجتناب دخولها الا كل رجل على شفا الجنون . وكل من درس هذه الاشياء يوافقني على القول ان سجوننا انما هي اداة لقتل النفوس وهي أقدم عهداً من القوانين التى قضت بحبس الناس . وليست فكرة الجريمة التى تسود محاكمنا الآن بأحسن مما كانت فى بابل القديمة وفي عهد نبوخذنصّر

مصدر الجرائم

وهذه الجرائم التى تسوق المجرمين الى السجون وتحمل العذاب الذى يفرضه القانون قلما يكون مصدرها ظلام القلب الانساني الا فى أندر النادر . فمعظم الجرائم التى ترتكب ضد المتاع انما سببها خوف الفقر الناشئ عن الاضطرابات الاقتصادية . ومعظم حوادث القتل ناشئة عن الاحقاد والاحوال التى لا تطاق مما سببه قوانين الزواج القاسية . والبقية سببها السآمة التى تجلبها العيشة الضيقة المحصورة في عالم محفوف بالكدر والغم والضجر . فاذا استطعنا ازالة الضيق من العالم وهذا في مقدورنا قلّت الجرائم التى ترتكب بسببه حتى تبيت نادرة . وكل يوم يدنينا علم السيكولوجيا من تلك الغاية

ومن السخف ان يظن ومعارفنا على ازدياد أن هذه الامور تبقى في مستواها الحالى وان العوامل التجديدية الكامنة في الصدور لا تعمل في القريب العاجل على رفع القانون وتكييف العلائق الانسانية الى مستوى العلم العصرى كما رفعت وسائل النقل الى ذلك المستوى منذ قرن مضى

ونحن نعلم الآن على القليل (كما علم الناس سنة ١٨٨٠ ان الطيران ممكن) اننا نستطيع تنظيم الانتاج في العالم بحيث نكون كلنا أغنى وأكثر حرية واستقلالا وأسعد حالا بما لا يقاس مما نحن الآن فى انتاج ثروتنا وحريتنا . ونعلم اننا نستطيع تنظيم قوانين تربيتنا العامة بالنسبة الى نظمنا الاقتصادية والسياسية بحيث ينشأ جمهور الخلق سعداء متأهبين لحياة شعارها الانشاء والابتكار . ونعلم أن جميع القلاقل الدولية فى عصرنا هذا وايذاء الامم بعضها لبعض والتهديد بالحروب سببها أشياء عقلية يمكن تغييرها وشفاؤها بوسائط عقلية

ولكن كما ان الابله في سنة ١٨٨٠ كان موقناً بان الطيران مستحيل وان الناس لن

يطيروا في المستقبل لانهم لم يطيروا فى الماضي هكذا تجد البلهاء في هـذا الزمان لا يصدقون امكان اصلاح نظمنا الخاصة بالاجتماع والسياسة والتربية اصلاحاً قد يرونه بعيونهم ويشاطرون غيرهم إياه

وكما أن الطيران جاءنا خطوة فخطوة على أثر جهود فئة قليلة أمينة تحت جو من الهزء والسخرية كذلك يجب أن تنال المزايا التي تهبها السيكولوجيا للنوع الانساني على أيدي نفر قليل من المؤمنين بالمدارس والكليات والدروس ومحاكم القوانين ومعاهد التشريع ومراكز الادارة ومكاتب الاعمال وغرف المتشاورين وحديث الوالدين

العالم سنة ٢٤٢٤

لو استطعت العود الى هذه الدنيا سنة ٢٤٢٤ أي بعد ٥٠٠ سنة من يومنا هذا ماوجدت في اعتقادى سرعة السفر من مكان الى مكان أكثر من مضاعف ما هي الآن ولا وجدت تبدلاً كبيراً في الاختراعات المادية . ولكني موقن بان سوف أجد مدارس نسبتها الى مدارسنا الحالية كنسبة الطيارة الى مركبة السفر التي أقلّت سترن الى باريز . وأجد السجون ومستشفيات المجاذيب وقد زالت تماماً . وعلائق الانسان بالانسان سهلة غير معقدة بتصدى أهل السياسة لها . والنظام الاقتصادى لا يربكهُ الشقاق المرُّ الذى يصحب الرغبة في محض الامتلاك . والحرب تقليداً قديماً بات نسياً منسيًّا

وهذا كله لا ينشأ عن أعجوبة في قلوب الناس ونفوسهم ولا عن ثورة عظيمة في الجمعية الانسانية أو في السياسة بل عن السير الموسوم بالعقل والصحو والحكمة خطوة فخطوة وتطبيق الدرس العلمي لمقاصد الانسان والذى بدأ حولنا الآن تطبيقاً عملياً

سمحت لنفسي بحاشية طولها خمسمائة سنة ولكن قد تكون أقصر من ذلك بكثير فيدرك العلم العقلي شأو العلم الطبيعي ويجاريه ثم يجلي عليه ويتركه مقصراً خلفه يعدو

فضل مجالسة الأدباء

أنشد رجل عمر بن الخطاب قول طرفة :

فلولا ثلاثٌ هنَّ من لذة الفتى وجدّك لم أحفل متى قام عوّدى

فقال عمر : لولا أن أسير في سبيل الله واضع جبهتي لله وأجالس قوماً ينتقون أطايب الحديث كما ينتقون التمر لم أبال أن أكون قد متُّ »

غندي الزعيم الهندى

وصناعتا الغزل والحرث

وصف كاتب المؤتمر الوطنى الهندى التاسع والثلاثون وهو أول مؤتمر عقد بعد خروج غندي من سجنه فقال ان جلساته عقدت في سرادق هائل ضربت فوقه قبة مصنوعة من النسيج الوطني المغزول والمنسوج بالايدى واسمهُ « خدّار » وقد حضر الجلسات عشرون الفاً من المندوبين والزائرين فوسعهم كلهم وأحاط به الالوف المؤلفة من الهنود الذين لم يشهدوا الجلسات . وقد جلس المندوبون والزائرون فى وسطه على الأرض متربعين ومدّت مقاعد أخرى متدرجة على دائرته لمندوبين وزوار آخرين

وأقيمت منصة فى الصدر للزعماء والعظماء وجلس غندى على كرسي الرآسة وحوله الزعيمان المسلمان المشهوران شوكت علي وشقيقهُ ومندت نهرو داس زعيم حزب السواراج ومحافظ كلكوتا والدكتورة أنّي بزانت رئيسة الجمعية الثيوصوفية وغيرهم

عقد هذا المؤتمر فى أواخر السنة الماضية بمدينة بلجوم لدرس قضية الهند الحاضرة والمستقبلة وقبل تفصيل مادار فى جلساته نقول أن المؤتمر الوطنى الهندى أسس سنة ١٨٨٥ لاعطاء الهنود على اختلاف عقائدهم الدينية ومذاهبهم السياسية نصيباً في حكم أنفسهم . ولم تكن له صفة رسمية فكان يقتصر على اصدار قراراته من غير أن يعنى بتنفيذها . ولما انشئت الجمعية التشريعية الهندية سنة ١٩٢٠ فقد المؤتمر الباعث على انشائه ولكن معارضة جزء كبير من أعضاء الجمعية للمشروعات الاصلاحية التى كانت تعرض عليه لاقرارها احيت المؤتمر بعد موته فوضع خطة فحواها عدم التعاون مع الحكومة وهي تشمل مقاطعة الانتخابات للجمعية التشريعية ومجالس شورى الاقاليم

وفى سنة ١٩٢٢ قبض على غندى فانتدب داس للرآسة مكانه فاعلن وجوب اشتراك الهنود في حكم أنفسهم ليبرهن بالمعارضة والمقاطعة على أن قانون الاصلاح الجديد غير قابل التنفيذ لانه يقسم تبعات الحكم بين المشرّعين الهنود والسلطة الانجليزية التنفيذية ولكنه يمنح هذه الاخيرة حق الرفض الاخير المعبر عنه بلفظة « فيتو »

وفي انتخابات سنة ١٩٢٤ ربح حزب السواراج برياسة داس كراسي كثيرة فى الجمعية فشهر

على الحكومة حرباً عواناً فى الجمعية . ثم عدل غندى عن خطة عدم التعاون واتفق هو وداس على سياسة مآلها منح الهند استقلالا تحكم به نفسها مع بقائها جزءًا من السلطنة البريطانية وقد اتخذ المجلس شعاراً له المحراث علامة عظم شأن الزراعة للهند ولاهلها فان ٩٠ في المائة

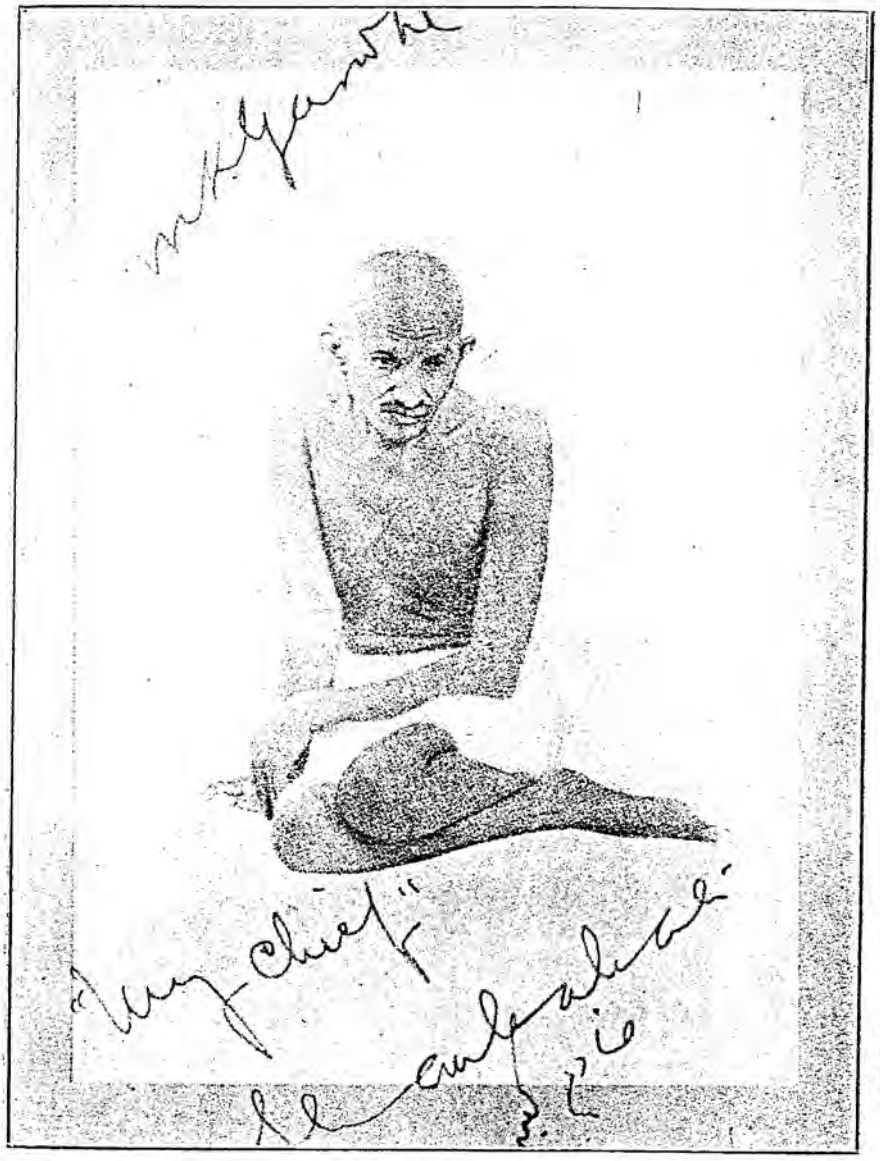

صورة ماهتما غندى الزعيم الهندوسى المشهور وقد كتب عليها شوكت على (أحد الشقيقين المسلمين اللذين قادا الحركة الاسلامية فى الهند) اسم غندى من فوق ولفظتى « رئيسى » بالانجليزية من تحت الصورة وامضى الكتابة بامضائه

منهم فلاّحون أو يتوقفون في معاشهم على الحراثة والفلاحة وسائر مايتعلق بهما . ولكن هـذا الجزء الكبير من الأمة لايستطيع العمل في الحقول مدة اشتداد حرّ الصيف وقد رأى غندي ذلك فاقترح أن يحلوا صناعة الغزل باليد محل حرث الحقول فيرفعوا بذلك مستواهم الاقتصادى الى درجة تليق بشعب يطلب الحرية والاستقلال

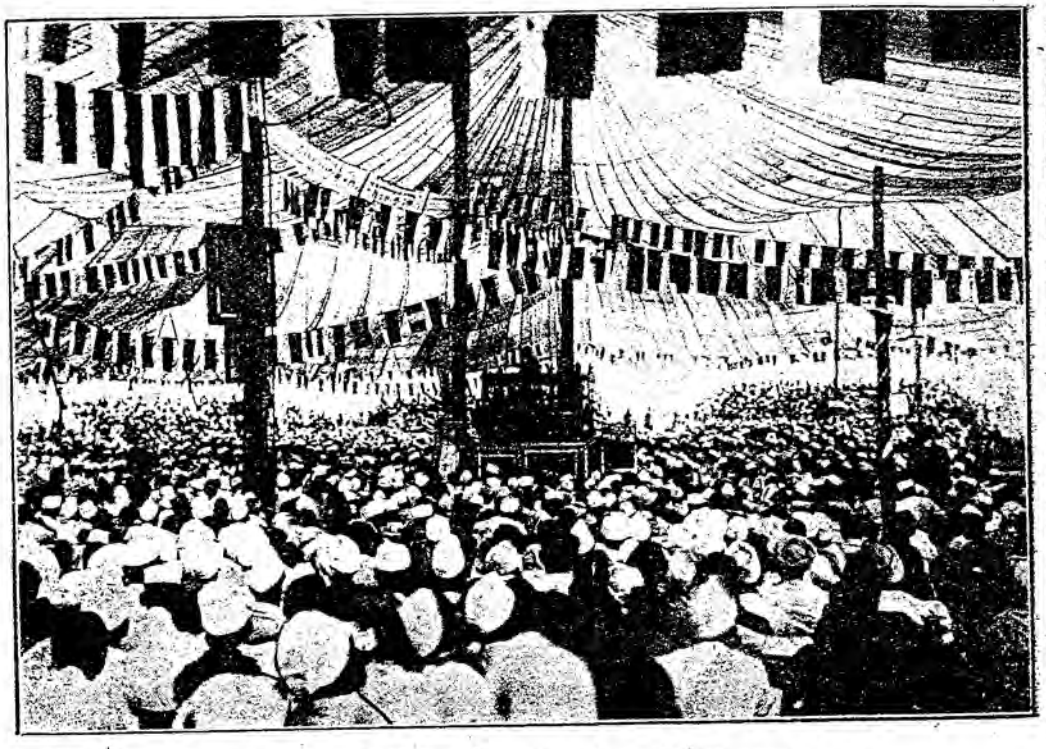

صورة غندى جالساً على منصة فى المؤتمر يرأس جلساته التى عقدت ضمن سرادق مصنوع من الغزل الوطنى يسع ٣٠ الف نسمة

وتأييداً لهذه الفكرة عرض غندي فى المؤتمر تعديلا للدستور يشترط فيه على كل من يطلب الانتظام في سلك عضوية المؤتمر ان يقدم كلّ سنه ٢٤ الف يرد من الغزل البلدى العال. وأجازوا لمن لايستطيع أن يغزل أولا يريد ذلك أن يأتي بغزل غزله آخر ومن هؤلاء الزعيمان داس ونهرو

وقد اجتمع الكاتب بغندى مرة وسأله أسئلة عن خطة الغزل هذه وتأثيرها في مستقبل الهند فقال أنه هو نفسه لايكره ادخال الآلات الزراعية الحديثة الى الهند بشرط ان يكون

الغرض منها مساعدة الفلاح على اصلاح حال مواسمه لا استخدامه واسطة لربح غيره . فلذلك يعتقد عظم فائدة المغزل لاهالى الهند على قدر الامكان ولكنه لا يثق بالمصانع الاجنبية وكثرة ما فيها من المغازل التى تدار بالكهربائية. فقال الكاتب ان المحاريث نفسها لا تفيد الفائدة المرومة منها الا اذا أديرت بالكهربائية . فاجاب غندى جواباً دلّ على انه لا يريد الأخذ والرد كثيراً في هذه المسئلة

ومن رأيه أيضاً أن خير السبل أمام الهند الى الحكم الذاتى قرص الامة الانجليزية فى موضع الضعف منها أى كيس دراهمها . فقد مرّت سنوات وهو يحاول مقاطعة السلع الاجنبية كلها والانجليزية في جملتها . قال الكاتب : ولست أدرى هل يعتقد حقاً أنه يجب على الهنود ألا يستعملوا سوى الاشياء المصنوعة في الهند دون غيرها . وعندى أنه لا يعرف نفسه ولا ما هو عليه. ومن رأيه أنه اذا فقد أصحاب المصالح تجارتهم مع الهند قاموا يطالبون بمنح الهند استقلالا داخلياً رداً لتجارتهم

ولا ريب أن اللعبة التى لعبها في المؤتمر هي من حسن السياسة على الورق فقد زاد المقاطعة شدة بحصرها في مصانع النسج أي أنه يريد أن يصيب الانجليزي في صناعة هي أعظم صناعاته صناعة النسج في لنكشير .فاذا فاز بزيادة عدد أعضاء المؤتمر زيادة كبيرة على أثر التعديل الجديد الذى أدخله على الدستور انزل صاعقة كبيرة من «الخدار» على رؤوس أصحاب مصانع لنكشير وهم أهل حول وطول فى الوزارة الانجليزية على القليل

لكن غندي زعيم روحاني قبل كل شيء يستمد قدرته على التأثير في الجمهور من استقامته وأخلاقه العالية . وفي مدة استقلاله بجلسات المؤتمر الكثيرة كان يحبّر المقالات والرسائل ويغزل كل يوم مافرضه على نفسه . وكان ينهض الساعة الرابعة من نومه فيقضي وقتاً فى الصلاة ثم يندفع الى العمل حتى منتصف الليل بلا انقطاع الا التمشى بعض دقائق في الخلاء . ثم يصلى ثانية عند المساء . وفي أيام الاثنين لا يكلم أحداً بل يسكت طول يومه ويقضيه في كتابة المذكرات

وكان يلبس في المؤتمر مئزراً يستر ما بين خصره وركبتيه. وأحياناً يضيف اليه شالا يغطي صدره بعضه أو كله ولكنه لم يلبس هذا الشال في جلسة المؤتمر الافتتاحية

ولا تصح تسميته خطيباً فانه يتدفق فى الكلام ولكن صوته حادٌّ يدخل الاذان بعد الاستئذان وليست له الرنة الموسيقية . واذا خطب لمس عقول سامعيه لاقلوبهم وهو سريع التحول من الابتسام الى القهقهة جم الادب . سمع مرة خطيباً متهيجاً يستعمل لفظي « رياء

وكذب » فوقفه عن خطبته وأنذره وطلب منه أن يستعمل الفاظاً اليق بالمقام . ولا ريب أن تواضعه من الصفات التي تحببه الى الجماهير وتجمعهم حوله . قال في جلسة المؤتمر الافتتاحية « ولطالما اعترفت بانني رجل غير معصوم عن الخطأ وأنا مثلكم خيراً وشراً فلذلك أطلب اليكم أن تمحوا شخصيتي من مسئلتنا » . ولا يزال قوة يحسب حسابها في الهند ولكنه في اعتقادى لا يعبد عبادة عمياء كما كان يعبد أولا . أما مبلغ تأثيره فسوف يعرف من مبلغ عضوية المؤتمر والداخلين فيها طبقاً للشرط الذى اشترطه . وقد عرف حتى الآن ان عدد أعضاء المؤتمر كان ١٢٣ الفاً سنة ١٩٢٣ فهبط في يناير وفبراير الماضيين الى ٩١٢٤ عضواً

قتلى النقد

توفيت المس لويل الشاعرة الاميركية حديثاً فاشيع أنها ماتت حنقاً من انتقاد الصحف الانجليزية لكتاب كتبته عن الشاعر كيتس الانجليزى. وأشيع مثل ذلك عن كيتس نفسه فى زمانه فقد قيل أنه مات كمداً لشدة نقد الناقدين لديوانه . أما أن النقد يقتل حقيقة فالشاهد عليه شاعر أسبانى حديث جاءت الانباء بانه نظم أغنية للحن وطنى مشهور فلما قرأ نقد الكتاب له مات من شدة الصدمة كما قالوا . ولكن ان كان النقد يقتل بعض الناس أحياناً فانه يخلد البعض الآخر كما قال كاتب انجليزى . واستشهد على صحة هذا القول بروبرت مونتغومرى فلولا شدة تعريض اللورد مكولي به في احدى مقالاته المشهورة ما عرف عنه أحد شيئاً . وسيبقى ذكره مابقيت المقالات وما قرئت

ماهي العافية

قيل لأهل مكة كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم . قالوا كان مثل العافية التى لا يعرف فضلها حتى تفقد

وجاء في قول مشهور : العافية تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى

وقال الشيخ ناصيف اليازجي

لا يعرف الصحيح قيمة ما فيه من الصحة حتى يبتلى

شهداء العلم

[بيان مفجع عن موت بعض العلماء في هذا العصر الحديث بعد ما برّحت بهم الالام الناشئة عن خدمة العلم وتحرير الانسانية من ربقة الامراض . نشرت احدى المجلات العلمية هذا البيان بقلم أحد العلماء وفيه صور بعض الذين استشهدوا في سبيل العلم وانقاذ أخوانهم من البرحاء]

* * *

(١) الاستاذ اميل برجونيه والراديوم

« ثلاثة أيام أو أربعة ثم أحرر » كلمات قالها الاستاذ اميل برجونيه من أولئك العلماء الباحثين في الراديوم وهو على فراش الموت . وكان قد مضى عليه شهران وهو يتعذب وعذابه يزيد يوماً فيوماً فآسوه بالمخدرات لتخفيف آلامه وكان يدعو اليه معاونيه ويلقي عليهم نصائح اكتسبها بالخبرة الطويلة في معالجة الراديوم أو أشعة اكس . ثم وضع لهم بيانا ضافياً في تشريح جثته بعد موته ودرس سير مرضه . وكان قد اشتغل سنين طوالا بمعالجة السرطان فأصيب من الراديوم بحروق أفضت الى ظهور السرطان فيه

وقبل وفاته بثلاث سنوات بتر ذراعه الأيمن فلم يثبط بتره عزائمه ولا حال دون استئنافه للعمل . ثم بترت ثلاث من أصابع يده اليسرى

وفى مدة اشتغاله الطويل بالعلم اخترع اختراعين نفع بهما النوع الانسانى مزيد النفع أحدهما اداة كهربائية لعلاج الجنود الذين يصابون بصدمة فرقعة القنابل . وآخر مغنطيس لاستخراج الرصاص وقطع الفولاذ من الجروح

ولكنه رأى أن استئصال السرطان يجب أن يكون همه الاول فلا يحول بينهما الاالموت فقضى في مكافحته ثلاث سنوات ثم مات كما يموت الشهداء

(٢) الدكتور شارل فايان

منذ عهد قريب وقف هذا الدكتور في محفل حافل بالكبراء والعلماء في باريز فاغدقت عليه الاوسمة التي لا تهدي إلا الى أكابر العلماء فوسام من الحكومة الفرنسية ووسام من مدينة باريز مسقط رأسه ووسام من الحكومة الاميركية وهو وسام البطولة الذي وضعه كارنيجي

أما ما صنع هذا البطل فهو أنه مازال دائبا في عمل التجارب باشعة اكس حتى فقد ذراعيه كليهما . فوقف بين ذلك الجمع الزاخر من قادرى قدره وعارفي فضله وهو مقطوع الذراعين عالى الرأس بانهما قطعا في سبيل العلم وخدمة الانسان لا هيّابا ولا خجلا

(٣) الدكتور فردريك بتجر

منذ أيام عملت العملية الجراحية الحادية والسبعون في مستشفى جونس هبكنس بمدينة بلطيمور الاميركية للدكتور فردريك بتجر فلم يبق له سوى أصبعين من يديه وفقد فوق ذلك احدى عينيه . وبعد العملية الاخيرة قال لمن حوله « أرى ان مباحثي هذه ستقودني الى حتفي ولكني سأموت وأنا لابس حذائي » أي وهو مثابر على العمل

الاستاذ أميل برجونيه من أوائل الباحثين في الراديوم

الاستاذ فروست الفلكي الاميركي الذي فقد عينيه من طول بحثه

وقد أحصي عدد الذين ماتوا في سبيل تجارب الراديوم ضد السرطان منذ أول اكتشافه فاذا هم ١٥٠ بطلا

(٤) لجنة الحمى الصفراوية

من أعظم الشواهد التي عرفت عن بطولة العلماء حكاية عصبة منهم جازفت بأنفسها وعرضت حياتها للخطر في سبيل مكافحة الحمى الصفراوية التي كانت تنتاب أميركا سنة فسنة وتقتل الالوف من أهلها . ففي وباء واحد تفشى فيها فقدت مدينة فيلادلفيا وحدها عشر أهلها

وفي نهاية حرب أميركا واسبانيا تفشت هذه الحمى بين الجنود الاميركية وهي لا تزال معسكرة في هفانا فعينت الحكومة الاميركية لجنة من ثلاثة أطباء أميركيين وطبيب كوبيّ لدرس هذه الحمى وأسبابها . فاشتبهوا في أن البعوض هو الذي يساعد على نشر الحمى . فتقدم

اثنان منهم وهما الدكتور لازيار والدكتور كارول وأتيا ببعوض كان قد امتص بعض دم جثود أصيبوا بالحمى قبل بانني عشر يوماً وأطلقا البعوض عليهما فعضهما فأصيب الدكتور كارول حالا ومرّت عليه أيام وهو في حالة هذيان شديد فعالجه الدكتور لازيار حتى شفى

أما الدكتور لازيار فلم يصب بالحمى . ولكنه بينما كان يشتغل بعد ذلك في مستشفى للحمى عضتهُ بعوضة . وكان قد رآها تستقر على يده فتركها تعضه مقتنعاً بأنها من حملة جراثيم الحمى فأصيب هذه المرة بالمرض في أشد أشكاله فمات . وكان قبل موته قد استدعى اليه الدكتور كارول وأعطاه مذكراته ووصاياه بشأن استئناف العمل

وأرادوا أن يعرفوا هل تنتقل الحمى بالعدوى من غير ملامسة فبنوا غرفتين متجاورتين وبينهما حاجز من السلك لا يمرّ البعوض منه . ووضعوا بعض البعوض الحامل لجراثيم الحمى في غرفة تطوع بدخولها جندي فعضهُ البعوض ومرض . ووضع في الغرفة الاخرى رجلان قابلان للمرض فبقيا فيها ١٣ ليلة وهما على قيد ذراع من المريض فلم يصابا بالداء

ونام ثلاثة رجال من القسم الطبي الاميركي عشرين ليلة في غرفة ملآنة من ثياب رجال ماتوا بالحمى ومن فرشهم وسائر أمتعتهم وكانت الحرارة في الغرفة تزهق الأرواح فلم يصب أحدهم بعرض واحد من أعراض الحمى . ولكي يبرهنوا على أنهم قابلون للاصابة بالحمى تعرضوا للبعوض الذي يحمل جراثيم الحمى فأصيبوا بها

فثبت أخيراً بعد ذلك الجهاد الطويل وبعد تلك الضحايا العزيزة ان البعوض وحده هو سبب الحمى ومن ذلك العهد الى الآن لم يسمع عن وباء بها

الحمى المنقطة والتيفوس

عينت لجنة صحية في أميركا السنة الماضية لدرس الحمى المسماة حمى الجبال الصخرية المنقطة وكانت متفشية في تسع ولايات وبلغ متوسط الوفيات بها في بعض الاماكن ٧٥ في المائة . وكان من رأي الدكتور هوارد ريكتس رئيس اللجنة أن سبب الحمى قرص نوع من القراد . فان هذا القراد يتعلق بحيوان موبوء بالحمى ثم ينتقل منه الى حيوان سليم فيقرصه فيصاب بالحمى وقد قرص أعضاء اللجنة وهم أربعة أطباء فأصيبوا بالحمى وماتوا . أما الرئيس فسلم بعد ماتأيد رأيه

ثم انتقل بعد ذلك الى درس حمى التيفوس وليس في أميركا كلها سوى اصابات معدودة

بها . فذهب هو وزميل له الى مدينة المكسيك وعالجا بعض المصابين بها فثبت لهما أن قملة البدن هى التي تنقل عدواها دون غيرها . ولكن الدكتور ريكتس لم يسلم هذه المرة بل مات على أثر اصابته بالحمى

الاستاذ فروست الفلكى

وقف الاستاذ فروست الفلكي مدير مرصد يركس فى ولاية وسكنسن عمرهُ على رصد الكواكب بالتلسكوب واستعمال المكرسكوب في رؤية الاشياء الدقيقة فأصيب بمرض في عينيه ولكنه لم يحجم عن العمل . وفي ذات ليلة بينما كان يعمل فى المرصد تمزقت شبكية عينه اليسرى فجأة وحاول أعظم علماء الرمد اعادة بصرها اليها ففشلوا وأخذت عدسة العين

اليمنى تظلم وتملوها سحابة بيضاء انتشرت عليها كلها

مرض غريب

وضحاياه

الدكتور بتجر أحد الباحثين فى الراديوم

الصورة الثانية : الدكتور فايان أحد الذين شوههم الراديوم

الصورة الثالثة : الدكتور كارول مكتشف مكروب الحمى الصفراوية

تكثر في ولايات أميركا الغربية الاصابات بمرض اسمه « تورلاريميا » يصيب الأرانب البرية ويعدى به الانسان وأعراضه فى الانسان تشبه أعراض الحمى التيفويدية. فانتدبت ادارة الصحة الاميركية طبيباً لدرس المرض فمات به فعين مكانه آخر فمات وهكذا الى الخامس. ولا تزال ادارة الصحة مهتمة بدرس طبيعته وأعراضه لعلها تهتدي الى علاج له

تجارب فى الغازات السامة ونتائجها

اخترع أحد المشتغلين بالكيمياء فى معامل الحكومة الاميركية قبيل الهدنة غازا سموه « ترانترولين » وهو أشد سما من كل ما اخترع قبله ولكن لوحظ أن العمال الذين اشتغلوا بتحضيره أصيبوا بمرض غريب . وقال الاطباء ان سبب المرض هو أن السم الذي فى الغاز يدخل مسام الجسم وينتقل الى الدم فيقتل كرياته الحمراء وظهر أن لبس « الكمامة » في الايدي لا يمنع « التسمم » به

فتطوع أربعة من الكيميائيين لتجارب تجرب فيهم . فاشتغل الاول بتحضير الغاز أربعة أيام فمرض وعجز عن العمل وكان أبيض البشرة . أما الثانى فاحتمل العمل بالغاز سبعة أيام ثم مرض وكان أقل بياضا من الاول . وأما الثالث فاحتمل العمل اثنى عشر يوماً ثم عجز عن العمل وكان اسمر البشرة . وأما الرابع فاحتمله أسبوعين ولم تكن أعراضه شديدة فيه كالثلاثة الذين سبقوه وكان شرقياً شديد السمرة

فيرهن هؤلاء الابطال بتعريض حياتهم للخطر على أن العمل شديدي الاسمرار يستطيعون تحضير الغاز بلا ضرر يذكر

ضحايا التيفوس فى سيبيريا

ان اثنين من أعظم أبطال الحرب لم يموتا في ميدان الطعان والكفاح بل فى مستشفيين نائيين من سيبيريا . ذلك أن سيبيريا نكبت سنة ١٩١٥ أي فى أوائل الحرب بوباء من هذه الحمى لم يكد العالم الحديث يسمع بمثله

وأول ذينك البطلين الدكتور دونلى من جمعية الصليب الاحمر الاميركية فانه كان رئيس مستشفى فى جفغلى حشر فيه ١٤٠٠ مريض وكان الماء ملوثا بمكروبات مختلفة وثياب المرضى تعج بالقمل والذين ماتوا منهم متروكين بلا دفن . وكان الطبيب يعمل ليل نهار في تلك الاحوال الصعبة فمات

وتبعه الطبيب الثاني فى مستشفى آخر ثم تبعهم ثلاثة آخرون . وفي مئات من المستشفيات حيثما كانت رجال لا همّ لهم إلا خدمة العلم وصيانة الناس اخوانهم من عواقب الادواء

بين باريز ونيويورك

٢٦ ساعة بالطيارة

بعد خمس سنين ان شاء الله

لويس بريجه صاحب مصنع للطيارات في ضواحي باريز يخرج كل سنة طيارات تجارية اكثر من كل مصنع آخر في العالم فهو ليس من اصحاب الاحلام فاذا قال قولا في هذا الموضوع فالقول ما قالت حذام

لويس بريجه صاحب مشروع الطيران بين باريز ونيويورك في يوم واحد

قال حديثاً انه لا تمضي خمسة اعوام حتى ينجز صنع طيارة تحمل ٧٥ نفساً وتقطع المسافة بين باريز ونيويورك في يوم كامل وساعتين وتكون اجرة المسافر فيها اقل من اجرة الراكب في باخرة من البواخر الكبرى التي تقطع الاتلنتيكي ماخرة بين اوربا واميركا وقد أكمل « التصميم » الموضوع لها ولكنها لا تنجز وتجرب قبل مضي خمس سنين

وسيكون من مزاياها النزول على اليابسة وعلى الماء ويكون ثقل حمولتها من ناس «وعفش» ٥٥ طناً وستقسم غرفها كما يأتي : ٨ غرف في الدرجة الاولى . و ٥٢ في الثانية . و ٥١ في الثالثة ويطبخ الطعام فيها بالكهربائية وتفرز غرفة للقراءة لا يمنع فيها التدخين . ويكون طول الغرفة في الدرجة الاولى ١٠ اقدام وعرضها ٦ وسمكها ٥٦

وخط سيرها يكون شمالا بطريق نيوفوندلند صيفاً وبطريق جزر الازور شتاء . وتكون آلاتها المحركة ثمانياً قوتها ٥ آلاف حصان

اما ملاحوها فيتألفون من قائد وربانين ومهندس كهربائي ومساعد و ٨ عمال ميكانيكيين و٤ طهاة وعامل لاسلكي

وستبلغ نفقة بنائها عشرة ملايين فرنك (نحو ١٠٠ الف جنيه) فسدد هذه النفقة كلها

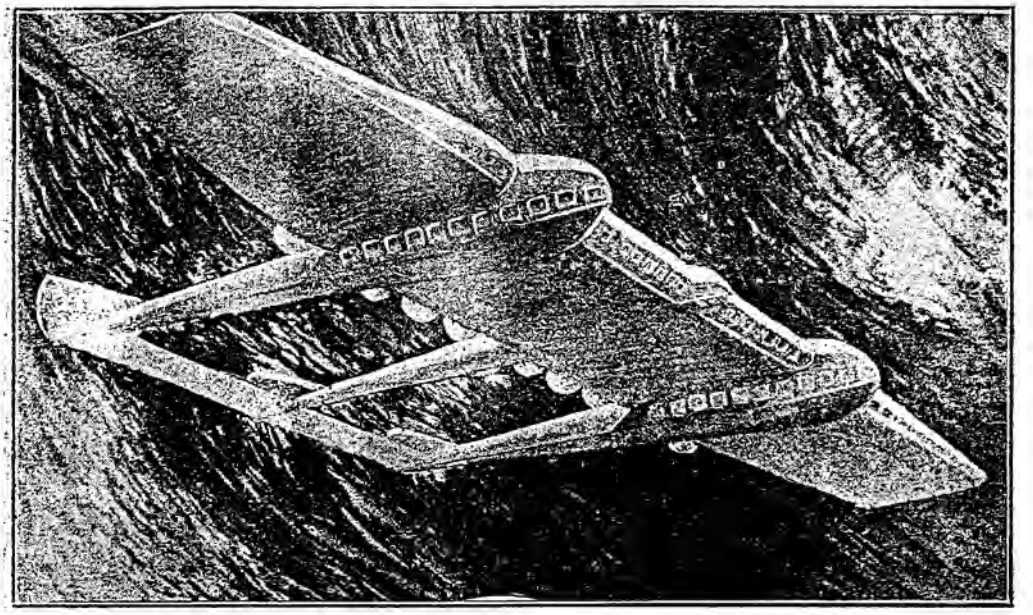

صورة طيارته محلقة فوق الاتلنتيكي بين المدينتين

في الفي ساعة من الطيران اي بعد ان تطير الطيارة ٧٧ مرة من باريز الى نيويورك ونيويورك الى باريز او بعد ٣٨ سفرة من باريز الى نيويورك فباريز ذهاباً وإياباً . وتقدر اجرة الراكب بين المدينتين بنحو ٤ آلاف فرنك او ٤٠ جنيهاً

هؤلاء الناس

قيل لدعبل الشاعر ما الوحشة عندك قال النظر الى الناس وأنشد

ما أكثر الناس لابل ما أقلهم الله يعلم اني لم اقل فندا
اني لافتح عيني حين افتحها على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقيل للعتابي من نجالس اليوم قال من أبصق في وجهه ولا يغضب . قيل له ومن هو؟ قال الحائط

خطأ القضاة

في المحاكم الانجليزية

[ليس بين الأمم أمة تعنى بالعدل وتدقق محاكمها في تحقيق القضايا التي تعرض عليها من مدنية وجنائية مثل الامة الانجليزية فلذلك ندر العبث بالعدل فيها وندر ان سمع الناس بقضية ظلم فيها بريء . وفيما يأتي ذكر لبعض هفوات القضاة في تطبيق الاحكام بقلم محامٍ كبير هو باون رولندز كان أبوه قاضياً ومضى عليه هو ٣٥ سنة يترافع في المحاكم الانجليزية نائباً عمومياً ومحامياً]

* * *

لا ريب أن هناك قضايا يساء فيها تنفيذ العدل ولكن معظمها من القضايا التي يطلق فيها سراح المتهمين على غير حق . وبعبارة أخرى هي القضايا التي يصدر فيها القضاة أو المحلفون حكماً في مصلحة المتهم . وقد يحدث أحياناً أن يساء استعمال العدل فيذنب متهم بريء ولكن قلما ينفذ هذا الحكم بشدة لان محاكم الاستئناف أو وزارة الداخلية تخففه بالالتجاء الى حق العفو الملكي . ولست أجهل الحكايات التي تروى عن أخذ البريء بجريرة الاثيم وقد يكون بعض هذه الحكايات صحيحاً ولكنه قليل . وسأروي هنا بعض القضايا التي أسيء فيها تطبيق الاحكام في اعتقادي

(١)

جيء امام المحكمة بفتاة اتهمت بمحاولة قتل عائلة برمتها لسبب ما أو لغير سبب وكنت أنا المدافع عنها . كانت خادماً في بيت طبيب بيطري فصبت شيئاً كثيراً من الخلّ المطعّم في الشوربا وأضافت الى بعض الحلوى شيئاً من سمّ الستركنين يكفي لقتل خمسين نفساً ورشت على قطعة من اللحم مسحوقاً قوياً من الزرنيخ . فأكل الطبيب وزوجته وأولاده الثلاثة من هذا الطعام فمرضوا واشتدت الاعراض على ولدين ثم شفي الجميع

وكان محور دفاعي أنا ومساعدي أن الطبيب أهمل في وضع هذه السموم حيث تصلها كل يد وان البنت ظنتها أفاويه فاستعملتها لتطييب الطعام بها عن حسن نية . وهو دفاع أخرق

لكنه أفلح اذ اتفق ان كان القاضي متهيجاً فحمل على الطبيب المدعي لانه تأخر عن الحضور امام المحكمة وشوّش عليه لما دعي للشهادة حتى أفسد عليه شهادته . فبرأ المحلفون البنت فأطلق سراحها فذهبت الى بيتها ولكن لم يمض عليها الا القليل حتى قصت عنق أمها بزوجي مقص فأرسلت الى مكانها الجدير بها وهو مستشفى المجاذيب

ففي قضية مثل هذه كان يجب أن يكون الحكم بأن البنت «مذنبة لكنها مجنونة» . ولو حكم المحلفون بهذا ما ارتكبت ذلك القتل الشنيع بعد تبرئتها

(٢)

وهذه قضية أخطأ فيها المحلفون من الجهة الاخرى وهي قضية اتهم فيها رجل اسمه دودل بقتل زوجته فعهد اليّ في رفع الدعوى على المتهم والى محاميين مشهورين في الدفاع وهما المستر فرانسي وليامنز ولوفات فرايزر . والى القارىء وقائع الحادثة

كان المتهم رجلاً هادئاً محبًّا للعمل ولكن عيشته مع زوجته كانت نكدة لانهما كانا يدمنان المسكر . وفي صباح ذات يوم ضرب زوجته ضربة شديدة ثم جرها بشعرها الى ماوراء البيت . وفي المساء شيّع ابنته الى عملها فى بلدة « روث » فأخذت شقيقها معها وكان مريضاً وعاد الأب الى المنزل . وكانت زوجته سكرى قبلما ضربها

وفي اليوم التالى سمع أحد الجيران خصاماً بينهما ثم أنيناً . وأفاق آخر على صوت سقطة قوية . وفي مساء اليوم الذى بعده وكان يوم أحد خاطب أحد الجيران البوليس فجاء ضابط من ضباطه الى المنزل ولكنه لم يستطع دخوله . وفي يوم الاثنين بعده قال المتهم لبعض أصحابه « لقد ماتت زوجتي المسكينة وتركني انبي وابنتي » . ثم أبلغ الرجل البوليس ما سمع فدخل البوليس البيت من باب سري فوجد المتهم ناءماً فى المطبخ والمرأة ميتة فى غرفة من الطبقة الاولى وكان الى جانبها زجاجتان فارغتان من المشروب المعروف باسم «الرَّم» ولم يرَ في المنزل أثر شقاق سوى كرسيّ مكسور . فتقرر ان سبب الموت نزف من مؤخر الجمجمة نشأ عن ضربة على الفكّ الأيسر

فقلت فى مرافعتى ان المتهم ضرب زوجته بجمع يده فقتلها . فردّ الدفاع بقوله (١) ان منظر الرضة على الرأس يدلُّ على انها لم تحدث من لكمة باليد بل من نتوء كأن يكون زاوية درجة من درجات سلّم أو مفتاحاً في الباب أو ما أشبهها . و(٢) ان ليس ثمت علاقة بين الرضة وموت المرأة وأن سبب الموت انفجار فى الدماغ نشأ عن الافراط فى الشرب

وسمعت شهادات كثيرين من كبار الاطباء فأيدوا الدفاع . وقال أحدهم ان وجود الرصة والانفجار على جهة واحدة من الرأس يدلُّ على أن لا علاقة بينهما فيما يرجح . وشهدت ابنة المتهم بأن أمها كانت تصاب بنوب بسبب الشرب وانها قبلما عادت الى عملها فى بلدة «روث» كانت أمها قد سقطت مرتين الى الارض فرفعتها

فحكم المحلفون على المتهم بالقتل عن غير عمد . ولا بد من القول هنا ان هـذا الخطأ في الحكم نشأ كله عن سعي القاضي اللورد ألفرستون في تبرئة المتهم . فقد حاول عرقلة الاتهام في كل نقطة فهوَّش عليَّ بلا كيل واعتذر للمحلفين عن عدم تمكني من سؤال أسئلتي بطريق مفهومة كما ادعى . وكررت مرة جواباً مهماً أجاب به أحد الاطباء وقصدي من تكراره ترسيخه في ذهني فصاح القاضي في وجهي «ألم تتعلّم بعد ألاّ تكرر الأجوبة ؟ وهل بمثل هذه الوسائل يتولى « التاج » ادارة دعاويه ؟ »

وبلغ من شدة اهتمامه بتبرئة المتهم انه كان يقاطع الدفاع المرة أثر المرة فأزال بذلك وقع مرافعة بديعة ألقاها . وفي اختتام حكم على المتهم بالاشغال الشاقة سبع سنوات ولكنه ما زال يسعى حتى أطلق سراحه

ولست أعرف شاهداً أتمَّ على سوء تنفيذ العدل من هذا الشاهد . فعندنا رجل جُرّم «بجناية» * لم يبرهن على ان أحداً ارتكبها وذلك بشهادة لم تكن قاطعة على جرمه بل كادت تكون قاطعة على براءته

وكان سبب سوء اجراء العدل كما قلت القاضي نفسه ولكن لما كان يشفع في خطأه هذا تسرّعهُ نكتفي بهذا القدر من التعليق عليه

(٣)

وهاك مثلاً آخر من هذا النوع : جيء امام محكمة الجنايات بعد هـذه الدعوى بسنة أو نحوها بايطالي متهم بقتل فحّام في خمارة . وكانت المحكمة برآسة المستر ردلى وكنت أنا والمرحوم القاضي بنسون وكيلي المدعي وكان المرحوم المستر ايفانس وكيل المتهم . فأثبتنا للمحكمة ان بعض الفحامين وبينهم المتهم كانوا يشربون فى حانوت وسط مداعبة فظة . وكان المتهم صغير الجسم ضعيفهُ فشدد رفاقه الوطأة عليه فى اللعب والمداعبة فكانوا يدفعونه الى هنا والى هناك

(*) وضعت هذه الكلمة بين أقواس صغيرة فى الاصل

ويكثرون من مضايقته متعمدين يحدوهم على ذلك غيظ كامن فى صدورهم من كثرة الفحامين الاجانب فى مناجم وادى روندا حيث جرت هذه الحادثة

وقبيل ارتكاب الجناية (؟) دفع القتيل القاتل جانباً وأقبل عليه يهدده وكان القتيل ضخم الجسم قويهُ . فتناول المتهم مدية صغتير وطعنه بها فوق ركبته اليسرى فقطع له شرياناً من الشرايين الكبرى فنزف دمه فى بضع دقائق ومات

هذه كلها وقائع وهناك وقائع أخرى دلت بجلاء فى اعتقادى أن المتهم كان مذعوراً لما طعن طعنته معتقداً أن حياته كانت مهددة وأن السبيل الوحيد الى الدفاع عن حياته انما هو اضعاف مهاجمه على الطراز الوطني ! !

وزادني تشبثاً باعتقادى هذا سلوك المتهم عند ما دعي لاستجوابه . فانه قصّ ما جرى تماماً بواسطة ترجمان وأعرب عن أسفه لان دفاعهُ عن نفسه أفضى الى موت صاحبهِ . أبان لنا نحن اللذين كنا وكيلي التاج فى رفع الدعوى على الاقل — انه كان يدافع عن نفسه وأسف للنتيجة التي نتجت من عمله

وقد كان سلوك القاضى لا غبار عليه ولكن المحلفين أصدروا حكماً بالقتل خطأ فحكم على المتهم بالحبس والاشغال خمس عشرة سنة

لا نجد أحداً فى هذه البلاد يقول باستعمال السكين أو غيرها من السلاح الاّ حيث يجيز القانون استعمالها وذلك في أحوال دفاع المرء عن نفسه معتقداً اعتقاداً معقولاً أن حياته فى خطر وأنه لا يستطيع انقاذها الا بالالتجاء الى السلاح . وفى رأيي ان جميع هذه الشروط موجودة في هذه القضية فان المتهم لجأ الى السكين لانقاذ نفسه بعد اعتقاده انها فى خطر وكان غرضه اضعاف خصمه لا قتله فوجه الطعنة الى مكان من الجسم ظنّ أنه ليس من مقاتله . ولكن المحلفين لم يروا هذا الرأي والظاهر انهم ظنوا انه لما كان الموت قد نشأ عن الطعنة كان مقصوداً وان الظروف لا تبرر هذا القصد

ولست أدري هل غيّر القاضى فيما بعد الحكم الذى أصدره فى المحكمة — وهذا كثير الحدوث — وانما أدري اني زرت غرف السجن بعد ذلك الحكم ببضع سنين فلم أرَ المحكوم

(*) علامة الاستفهام من الكاتب لا منا

(**) علامة التعجب منا لا من الكاتب

عليه بين المسجونين . فلعله مات في أوائل سجنه ولكنني أرجو ان يكون الحكم قد خفف فيما بعد كرامة للعدل

* * *

وسأصف الآن حادثين خاصين بالجنون ولكني آتي قبل ذلك على بعض ملحوظات اجمالية فأقول ان علاقة قانوننا الجنائي بالجنون كان فى الزمان الاخير موضوع جدال شديد بين رجال القانون والذين يرون ان الجرائم انما هي مظهر من مظاهر الادواء وانها يجب لذلك أن تعالج بالدواء قصد الشفاء لا بالعقاب . ولست أنوي الآن الاطالة في هذا الموضوع بل أقتصر على ايراد نص القانون وما يجب أن يكون من حيث الجرائم والجنون

المفروض أن كل متهم كان سليم العقل عند ارتكابه للعمل المخالف للقانون وعليه فهو معاقب اذا كان ذلك العمل جناية وكان قد أقدم عليه بتدبير سابق . مثال ذلك اذا اتهم رجل بقتل آخر بتدبير سابق وثبت أنه قتل فان القانون يفترض انه كان قادراً من الوجهة العقلية على ذلك التدبير . هذا هو الافتراض الذى ينظم تطبيق القانون الجنائي . ولكن هذا الافتراض قابل للدفع — الا في أحوال قليلة منصوص عليها — اذا استطاع المتهم أن يثبت أنه عند ارتكابه للجناية لم يكن قادراً على التدبير السابق واللازم لها فلم يكن يعلم طبيعة عمله وصفته مثلاً أو كان يعلمها ولكنه لم يكن يعلم انه كان يقدم على عمل خاطىء . فاذا استطاع ذلك فقد يصدر المحلفون حكمهم بأنه « مذنب ولكنه مجنون » وهو حكم ليس منطوقه من المنطق في شيء ولكنه كاف من الوجهة العملية فيرسل المتهم حينئذ الى مستشفى المجاذيب المجرمين لمعالجته

هذا هو القانون وقد سار سيراً حسناً ولكنه ما زال عرضة لنقد المتشادقين الذين يقولون انه يجب أن يعامل كل معتدٍ على القانون معاملة مريض عقلي . والذين يقولون انه لا يجوز الحكم على متهم بجريمة الا اذا أثبت المدعي أنه سليم العقل . والذين يتطرفون الى آخر حدّ من حدود الممتنع عملاً

هذه الفئات الثلاث يصرف النظر عنها ولكن هناك فئة رابعة يجب أن ينظر في حجتها بعين العناية والاعتبار وهي الفئة التى تشتمل فيمن تشتمل على المترافعين في المحاكم الجنائية . وحجتها أن ما يشمونه « الدافع الذى لا يقاوم » يجب أن يقبل في الدفاع عن المتهمين بالجرائم . ومن رأيي أنا انه ان قبل دفاع مثل هذا فلا يمكن العمل به مادام نظام المحلفين معمولا به في محاكمنا .

* * *

وبعد هذه المقدمة أتقدم الى ايراد مثلين كان فيهما حكم المحلفين مخالفاً لمقتضيات العدل

(٤)

توليت سنة ١٩٠٧ رفع قضية من قبل التاج اتهم فيها رجل بقتل ابنه . وكان محور الدفاع أنه مجنون . وكانت قد مرت سنون كثيرة والمتهم يشرب فيها ويكثر من الشرب ولكن لم يقل أحد انه كان سكران وقت ارتكاب الجناية . أما ما حدث فهو انه تشاجر هو وزوجته مساء يوم فتهددها بقتل ابنهما وبلغ من شدة غيظه انه هجم عليها وهو شاهر سكيناً بيده واذا أخوها قد دخل البيت فأمسك . ثم لما ذهب جاء بابنه ووضع رأسه على ركبته وحزه ففصله عن بدنه

فرأيت من الوقائع انه لم يكن مجنوناً بمعنى من المعاني الشرعية أو غير الشرعية وانه كان يعلم طبيعة عمله وصفته ويعلم انه كان يصنع شراً . والذى حملني على هذا الاستدلال في الاكثر انه أمسك عند دخول نسيبه ثم ذبح ابنه لما لم يكن قربه أحد يحول دون عمله . وسمعت شهادة كثير من « الخبراء » ثم حكم المحلفون بأنه «مذنب لكن مجنون »

وبعد انصراف المحكمة قابلت أحد المحلفين واستطلعته طلع رأيه فى الحكم فقال :

« لم يكن الرجل سليم العقل وإلا ما قتل ولداً له كان يحبه . وهذه البلدة بلدتنا صغيرة وفي آخر مرة نفذ حكم الاعدام هنا وقع رعب عظيم على النساء والاولاد . وليس المحكوم عليه بأحسن حالاً فى سجنه منه في قبره » . والحادث الذى أشار اليه المحلف هو حادث عسكري قتل حبيبته فى نوبة حسد . فتبرع ضباط أورطته ورفاقه بمال للدفاع عنه وانتدب أبي لذلك وقد شهد خبراء الدفاع من الاطباء وخبراء التاج بأن الرجل كان مجنوناً ولكن الرأي العام كان ثائراً عليه الى حدّ ان ذنبه المحلفون وأضافوا الى تذنيبهم إياه هذه العبارة وهي «ان المتهم كان سليم العقل على التمام لما ارتكب الجرم» . ولم تتعرض وزارة الداخلية للحكم فأعدم شنقاً وهو يغني أغنية بصوت عالٍ

واليكم المثل الثاني

(٥)

في سنة ١٨٨٧ أو نحوها — لست أذكر التاريخ تماماً — حوكم سمكرى اسمه « ريز » بتهمة قتل وكان أبي مدافعاً عنه . وتحرير الخبر انه عرف أن ناظر « الورشة » التى كان هو

عاملاً فيها سيذهب من بلدة « لنلي » الى الورشة ومعه ٦٠٠ جنيه أجرة العمال وانه سيمرُّ في طريق جبلي وعر . وشهد ولدان صغيران انه رأيا فى وقت ما من ذلك اليوم ريز وقد قابل رجلا يحمل كيساً ثم ضربه فأوقعه . وبعد ذلك وجدت جثة الرجل في المكان الذى ذكره الولدان وفى رأسه جروح والكيس مفقود . وكان بجانب الجثة مطرقة تستعمل في السمكرة وثبت انها ملك ريز وانها رئيت معه في الورشة فى اليوم السابق . وثبت أيضاً بشهادة الشهود العدل ان ريز شوهد يوم ارتكاب القتل يمشى فى الطريق الجبلي الذى يؤدى الى «لنلي» وانه لو استمر على سيره في الطريق العادى لبلغ المكان الذى وجدت الجثة فيه في نحو الوقت الذى عينه الولدان

فلما قبض على ريز أنكر انه سار فى الطريق المعتاد وقال انه دار ومشى في طريق أوطأ منه لا يمرّ في المكان الذى وجدت الجثة فيه . ولو صحّ ذلك لدلَّ على ان ريز كان بعيداً عن المكان بضعة أميال فى الوقت الذى شهد الولدان بأن رجلاً التقى ناظر الورشة المقتول

ولكن ثبت للمحلفين ان قصته ليست صحيحة للسبب الآتى : كان بين بلدة لنلي والورش على الطريق الأسفل قرية أقيمت فيها سوق ذلك اليوم وقد نصبت حواجز على طرفي القرية للسوق وشهد الحراس الموكلون بها ان ريز لم يمر من هناك ذلك اليوم . وقد أخبرني أبي انه لم يستطع ان يحوّل الولدين عن شهادتهما . وانه كان يمكنه أن يبرىء ريز استناداً الى ما عرف من حسن سيرته ولا سيما انه لم يوجد عنده شيء من المال الذى كان مع الناظر القتيل . ولكن ريز كذب والقاضى علّق شأناً كبيراً على كذبه

ودامت محاكمته ثلاثة أيام ثم أصدر المحلفون حكمهم بانه مذنب . ولكن تلا الحكم عليه أمر شديد الايلام . ذلك انه بعد ما حكم عليه القاضى بالموت أعيد الى سجنه فصافح حرّاسه وودعهم وشكرهم على لطفهم ومعروفهم مدة اقامته في السجن . وبيان ذلك ان المحكوم عليه من أهل وايلس ولم يكن يعرف الانجليزية (التى صدر الحكم بها) فظن ان المحكمة برأت ساحته . واقتضى الامر اخبار القاضى بما جرى . فأعيد ريز الى المحكمة وأعيد النطق بالحكم ثانية وترجم للمحكوم عليه بلغته . ثم أعدم وهو يقول انه بريء ولم يكن له يد فى قتل الناظر

وبعد ذلك بسنين مات أبوه وشاع بعد موته أنه اعترف وهو يحتضر بأنه هو الذى قتل الناظر وأخذ المال منه لنفسه . وقال ان ريز ابنه ترك المطرقة فى البيت وانه (الأب) وضعها في جيبته لما ذهب لسلب الناظر . وانه كان وحده ولم يعلم ابنه من الامر شيئاً

ولست أعلم هل هذه الاشاعة صحيحة ولكني أعلم ان أبي كان يذهب الى ان ريز لم يدبّر القتل ولا اشترك فى ارتكابه . وكلّ ما هناك انه ربما كان حاضراً ساعة التقى رفيق له ناظر الورشة وقتله . والعادة أن يؤخذ بشهادة الاولاد فى المسائل البسيطة أما في هذه الحادثة فقد طلب من الولدين أن يدلاّ على المتهم ويقولا هل كان أحد غيره على الطريق عند ارتكاب الجريمة وهل ضربت ضربة ومن ضربها وفي أية الاحوال — أي انه طلب منهما أن يشهدا بعدة أشياء حدثت بعيدة عن المكان الذى كانا واقفين فيه

أما انكار ريز لوجوده في مكان ارتكاب الجريمة أو بالقرب منه عند ارتكابها فما كان يجب اتخاذه كبينة قاطعة على انه مذنب . فليس ببعيد أن يكون قد وجد بجوار محل القتل وقت ارتكابه أو أن يكون قد رأى الجريمة ترتكب ولكنه خاف ان يعد شريكاً اذا اعترف بانه كان قريباً من مكان الجناية عند ارتكابها فأنكر

ويشك فوق هذا كله هل كان القتل بتدبير أحد على الرغم من الاشاعة التى شاعت عن اعتراف الأب . فمن الجهة الواحدة وجدت المطرقة بجانب الجثة ولكن من الجهة الاخرى لم توجد قطعة من الاوراق المالية مع أحد ولا اهتدي الى الكيس الذى كانت فيه .فلو كان القاتل قد دبّر قطع الطريق على الناظر وقتله من أجل المال الذى كان يحمله فمن الغريب أن لا تتداول الأيدي واحدة من الاوراق المالية. وعليه فلم ينتفع أحد بها

وبالاجمال يقال ان هذه الجريمة محلّ خفاء ولغز من الالغاز التى لا تحلّ . وقد اقتنع أبي بان ريز لم يكن مذنباً في قصد أو عمل من جهة هذه الجناية ولو لم يستطع أن يحل مسئلة من قتل

(٦)

والآن أذكر وقائع قضية أخرى أسيء فيها تطبيق العدل لان القاضى لم يحسن ارشاد المحلفين وتنوير أذهانهم

جيء سنة ١٨٩٥ الى محكمة «جلامورجنشر» بثلاثة من رجال البوليس اتهموا بالقتل خطأ وكنت أنا والمستر ايفانس وكيلي التاج في رفع الدعوى وكان أبي بين المدافعين

وخلاصة وقائع الحادثة ان رجال البوليس ظنوا في شجار حدث ان رجلا اسمه موريس كان احد المتشاجرين فهموا بالقبض عليه فقاومهم فضربه كل منهم بهراوة على رأسه فجرح ثلاثة جروح . وفي اليوم التالى كان في حالة ذهول فحكم عليه في محكمة البوليس المحلية بالحبس والشغل شهراً لانه قاوم البوليس وهاجمه وهو يؤدي واجبات عمله فاخذ الى السجن . وفي

صباح اليوم الثالث أمر طبيب السجن بتشغيله على « الدولاب » في العراء وان يكون بين المحكوم عليهم « بالشغل من الدرجة الاولى »

فبقي على هذا الحال عشرة أيام (من ١١ الى ٢١ فبراير) وطعامه دون الكفاف كما هي العادة . ثم شعر بألم في رأسه فارسل الى المستشفى فى ٢٤ منه لمعالجته . ولكن حالته أخذت تسوء فمات في ٣ مارس . فشهد الاطباء بان السبب الاول في الموت كان نتيجة الجروح التى في رأسه فانه أصيب فيها بالحمراء وهذه أفضت الى الالتهاب السحائي فمات به

ولم يكد الدفاع ينكر أن المتهمين لجأوا من القوة الى اكثر مما يسوغ القانون ولكنه دافع دفاعا نادراً فى قوته وكادت الوقائع تؤيده تماما وهو أن موت موريس لم ينشأ عن جروحه بل من سوء معالجة طبيب السجن لها وعليه فليست تبعة موت الرجل واقعة على البوليس

وقد دعونا نحن طبيبا للشهادة فاعترف بان تشغيل رجل مثل موريس على « الدولاب » في الخلاء وفي رأسه تلك الجروح ليس من السلامة ولا من الفطنة . وأن نوع معالجته قد يزيد خطر اصابته بالحمراء لان شدة البرد تزيده استهدافا لها . وأنه كان يجب ارساله الى المستشفى من مبدإ الامر

ومهما يكن من ذلك كله فقد حكم على المتهمين بالاشغال الشاقة ثلاثة أشهر . لكن الحكم عليهم كان خطأ فظيعا . فلو أن القاضي أبان للمحلفين واقعة الحال كما هي بعبارة فهموها لبرأوا ساحتهم . ولكنه قال فى تلخيص الدعوى هذه العبارة مخاطبا المحلفين : فان كنتم ترون أن سلسلة الاسباب التى تربط استعمال العنف بالقتل الناتج عنه كاملة فانكم تدينون المتهمين » . وبالطبع لم يفهم المحلفون معنى هذه العبارة الاصطلاحية لان كثيراً منهم كانوا من أهل وايلس المتكلمين باللغة الغالية وكانت معرفتهم للانجليزية ضئيلة

ويسرني أن اقول اني أنا والمستر ايفانس كتبنا عريضة نطلب فيها العفو عن المحكوم عليهم . ومع أنه لم يعف عنهم أعتقد انهم أعيدوا الى البوليس بعد انقضاء مدة سجنهم

***

وأقول في الختام أن نظام المحلفين عندنا هو حجر الزاوية في دستورنا وأساس تفوقنا القضائي . ولكنه كغيره من النظم البشرية يخطئ أحياناً في سيره . ولعل بيان عيوبه واوجه النقص فيه يدنيه من حد الكمال

مخاطر الاسفار القطبية

رحلة شكلتون الثانية

لا ألذّ ولا أعجب من حكايات الاسفار البرية والبحرية وما يلاقى المسافرون فيها من المخاطر وما يتجشمون من الاهوال ولا سيما اذا كانت تلك الحكايات حقيقية واقعية لا خيالية كحكايات السندباد البحري والسندباد الحمّال . وفي حكايات ماقرأنا من هذه الاسفار لم نر حكايات أجمع للذة والفكاهة والفائدة والدهش واثارة العواطف من حكايات الاسفار القطبية وأسفار السر ارنست شكلتون فى أولها

قصد هذا العالم الرحالة الجريء القطب الجنوبي مرتين للاكتشاف العلمي وعاد سالماً . ثم قصده للمرة الثالثة فتوفي فجأة فى طريقه اليه . وقد قص الكبتن هرلي السائح الاسترالى وأحد رفاق شكلتون قصة السفرة الثانية التي فقدت فيها البعثة سفينتها المسماة « انديورانس » ومكابدتها المشاق العظيمة مدة اثنين وعشرين شهراً قبلما قيض لها النجاة من تلك الاصقاع النائية التى يلتحف المسافر فيها الضباب ويفترش الجمد ولا يرى فيها من الاحياء سوى بعض الحيوانات الغريبة التى تساعده على المعيشة هناك بما يصيد منها

أطبق الجمد على سفينتهم فى مكان يبعد الف ميل عن بحر الماء احترازاً من بحر الجمد واربعمائة عن أقرب برّ . وكان يضيق عليها يوماً فيوماً ساحقاً اياها شيئاً فشيئاً بقوة ضغطه الهائل ومر عليهم عشرة أشهر وهم يفرون من مكان الى مكان حتى لم يبق أمامهم مفرّ . حدث الكبتن هرلى قال :

وقفت أنا والقائد السر ارنست شكلتون بجانب السفينة فى ظلام الاصقاع القطبية الجنوبية كأننا نشيع بأبصارنا صديقاً راحلا ونودعه الوداع الاخير . ثم عدنا الى معسكرنا الذي ضربناه في رحاب الجمد الواسع فأصدر شكلتون الاوامر بانزال قوارب السفينة وتفريغ المؤونة منها . وكأن الكلاب التي معنا أدركت موقفنا الحرج فكانت تطيع الاوامر التى تصدر اليها بأسرع ماتستطيع وتجر المزالق المقرونة بها بما لم تفعل قبلا

ولما طلعت شمس اليوم التالى طلعت على رجال لا مأوى لهم وعلى بقايا سفينة محطمة لايرى منها الا رؤوس سواريها . أما نحن فبدلا من أن تقنط شعرنا بشيء مثل السرور لهذه

الكارثة اذ قد مرت بنا شهور وسفينتنا تحت رحمة صخور الجمد تتلاعب بها كيفما شاءت. فكنا فى سجن نتوقع أن ينهار علينا يوماً فلذلك كان نومنا نافراً طول تلك المدة والسهاد

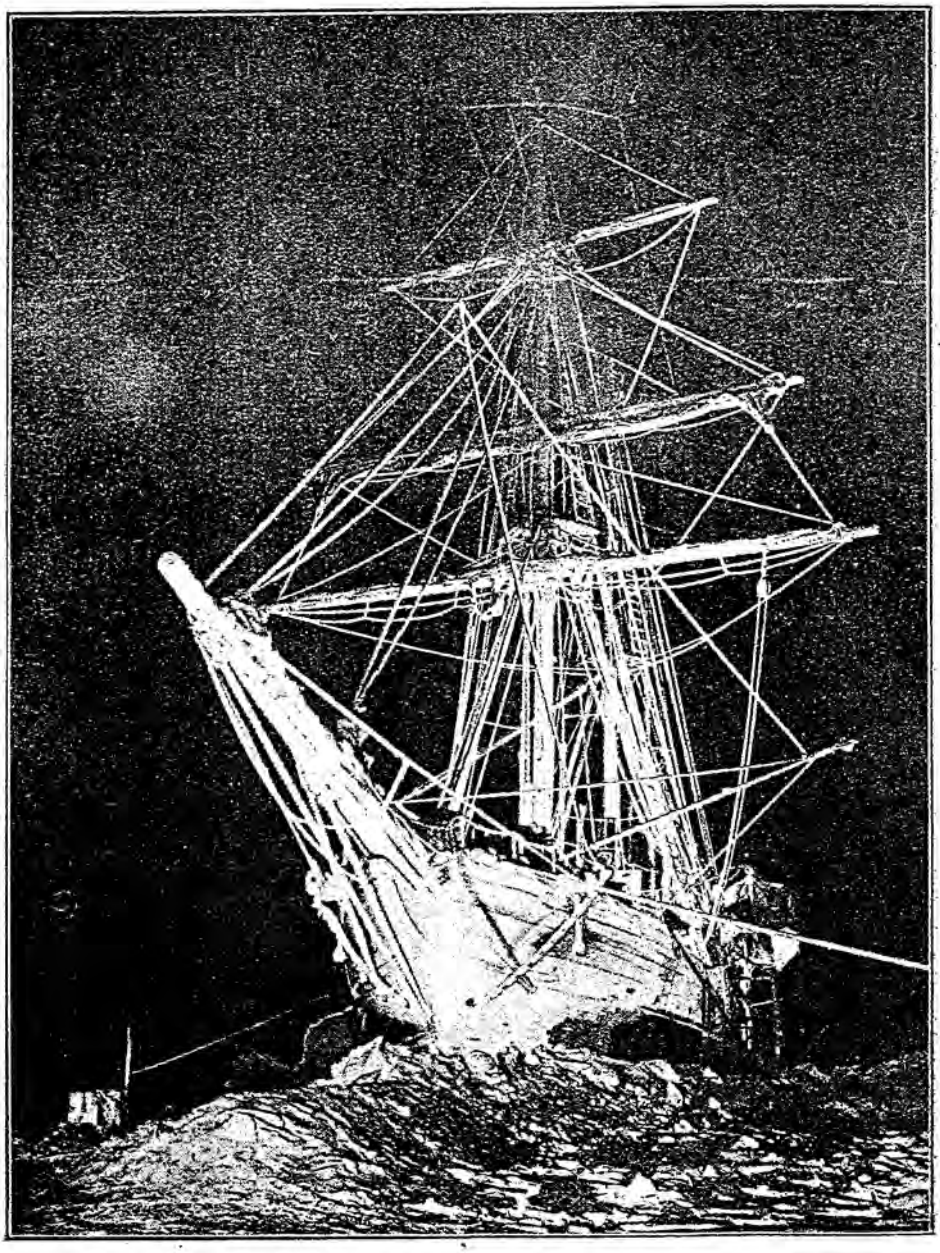

صورة السفينة انديورانس وقد اطبق الجمد عليها من كل جانب فسحقها سحقاً بطيئاً واضطر ركابها الى مغادرتها بعد ما يئسوا من انقاذها

ملازماً لنا. والآن نجد أمامنا مجالا واسعاً لتجشم الأخطار ونجدنا مستعدين لملاقاة أي المصاعب التي تعرض لنا في سبيل نجاتنا . كنا قبل الآن بلا حول ولا قوة فأصبحنا الآن نشعر بأن بقاءنا يتوقف على سعة حيلتنا وارادتنا

وكنا نثق ثقة عمياء بقائدنا واتفقنا على ان التعاون المطلق عن كل قيد لازم كل اللزوم لنا اذا شئنا الخروج من مأزق هو من شر مايتورط فيه انسان . فألفنا لجنة استشارية من قائدنا وفرنك وايلد والسكبتن ورسلى ومني للنظر في الحالة ووضع القرارات اللازمة . فقررنا في الجلسة الاولى بذل المجهود في الوصول الى أقرب يابسة منا وهي صخر يبعد اربعمائة ميل عنا . وكان بيننا وبينه « حقول جمد » لا يدرك الطرف آخرها فجعلنا نمهّد لنا طريقاً فيها ونجرّ المزالق والزوارق عليها مستعينين بكلابنا وكان منظر تلك « الحقول » شبيهاً ببحر عجاج متلاطم الامواج جمد ماؤه بغتة

وقلّ الزاد معنا فقللنا أنصبة الرجال والكلاب منه فضعف الرجال وعجزت الكلاب عن العمل من الجوع وشدة البرد وتشققت المزالق والزوارق ، لم نتقدم فى خلال أسبوع كامل سوى ثمانية أميال . ففوضنا أمرنا الى المقادير مرة أخرى تتولى ارشادنا وتسدّد خطواتنا . وقررنا اختيار صخر ثابت من الجمد نعسكر فيه فتزجينا الرياح والتيارات الى البحر المفتوح (أي الخالي من الجمد) فنسعى من ثمة فى بلوغ أقرب برّ منا . وهكذا فعلنا وأقمنا نرقب في الافق جزيرة الفيل وهي بقعة من الارض على بعد ٥٥٠ ميلا الى الشمال

وكان خيط أملنا أدق وأوهى من خيط العنكبوت وذلك لان صخر الجمد الذى عسكرنا عليه انما هو زردة واحدة من ملايين الزرد التى تتألف منها درع البحر الخضمّ . وقد ولينا وجوهنا في خلال العشرة الاشهر التى مرت بنا شطر الجهات الاربع المختلفة ونحن نتخبط على غير هدىً . فأملنا بان تزجي الرياح والتيارات معسكرنا الى نقطة معينة على بعد ٥٥٠ ميلاً أمل منزل بوادٍ غير ذي زرع . ومع ذلك فقد شرعنا نعمل وهذا الأمل يحدونا واستأذنت القائد في زيارة السفينة زيارة أخيرة وتخليص ما يمكن منها

وكان غرضي الاقصى انقاذ الصور التي تركناها في «عنبرها» فقصدتها أنا وأحد النوتية ففتحنا «قمرة» شكلتون وأخذنا منها بعض مجلدات من السيكلوبيذيا البريطانية وبضعة كتب أخرى وحفنة من نقود الذهب وأشياء أخرى ثمينة من امتعة القائد . وكانت الصور الفوتغرافية موضوعة في صناديق لا ينفذ الماء اليها ومدفونة في الجمد الذائب على عمق ١٢ قدماً . فألقينا

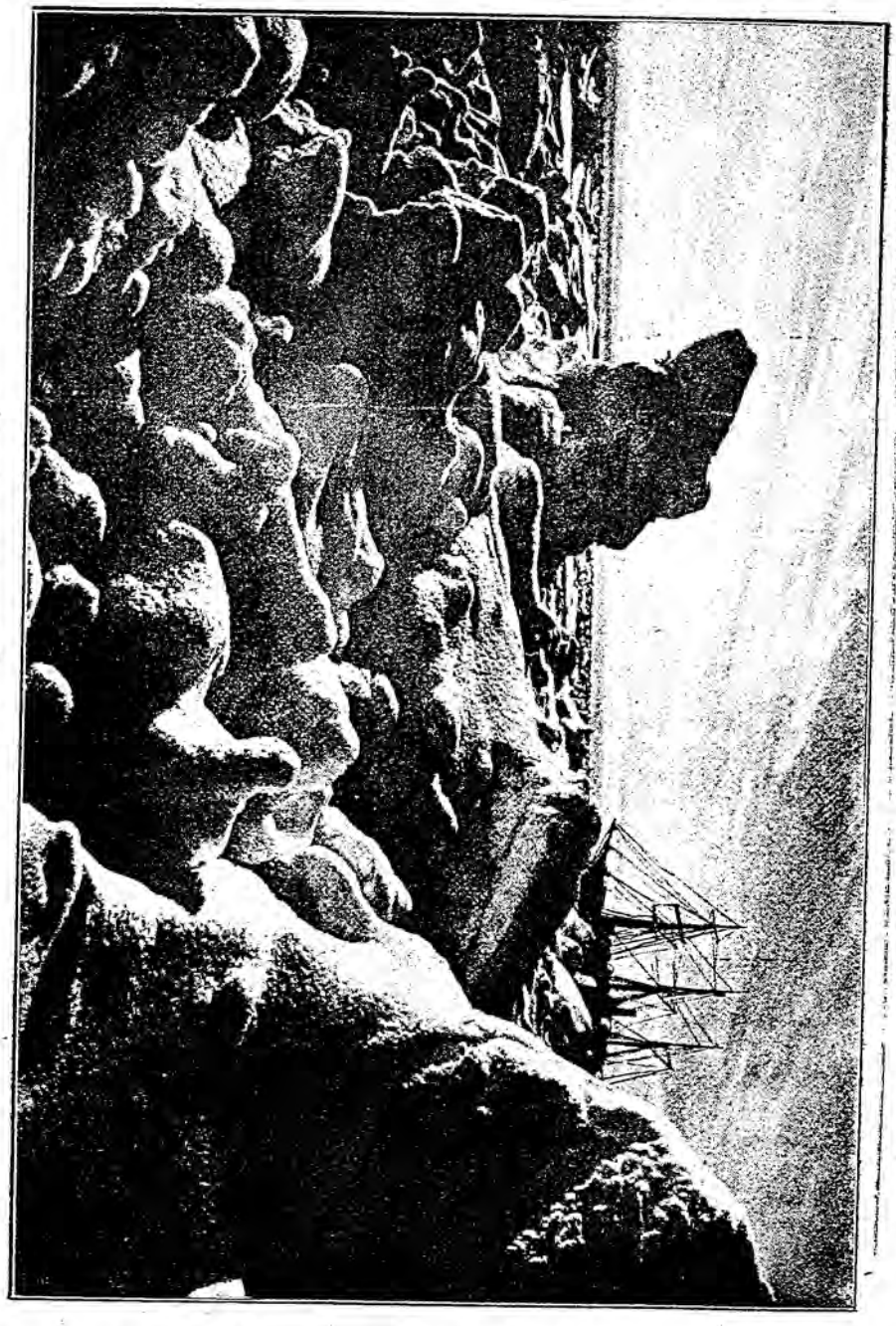

صورة أخرى للسفينة لما أطبقت عليها « جنوب » الجليد

قرعة أنا والنوتي لنعلم من يغطس عليها فوقعت القرعة علي . فغطست في ذلك الماء البارد وكان الظلام دامساً فتلمست لي طريقاً وعدت بصندوق من صناديق الصور وقد غلف بغلاف

من الجمد . وبلغ البرد مني مبلغه ولكن حداني على ذلك التهور أن شركة من شركات السينما كانت قد دفعت الينا عشرة آلاف جنيه من ثمن الصور فساعدنا ذلك المال كثيراً في الانفاق على بعثتنا وقلت في نفسي اني آلم اليوم ثم يأتي الغد فأنسى الألم

وكنت أنا وصاحبي واقفين على قطعة من الجمد وفي يده وتد وقد غرزه في الماء تحت الجمد يفتش فيه عن صناديق أخرى وأنا أنتظر نتيجة تفتيشه وعود شيء من الحرارة الى جسمي . وكنا نخشى من حين الى حين ان تنهار قطعة الجمد التي وقفنا عليها واذا النوتي يقول انه وجد صندوقاً ثانياً فغطست عليه وانتشلته . ثم خرجنا الى الخارج فوجدنا السر أرنست واقفاً وكان قد قدم على غير انتظار فوبخنا توبيخاً عنيفاً على تلك المجازفة ولكن جلدي كان أبرد من ان يشعر بشدة توبيخه وتعنيفه . فأقام النوتي يفرك جسمي حتى دبت الحرارة فيه

وقبل عودتنا الى المعسكر أعطيت السر أرنست الاشياء الثمينة التي أنقذتها من السفينة فتناول النقود الذهبية مني وألقاها في شقّ من الجمد الى مقر البحر واستبقى الكتب قائلا «هذا مصير سقط المتاع أما الكتب فلازمة لنا لزوم الطعام»

وكان لكل يوم مخاطر جديدة مدة الشهور الطويلة من تلك الرحلة الهائلة . وأخيراً قل الزاد عندنا فاضطررنا الى قتل كلابنا . ولن أنسى ذلك اليوم الذي قتلناها فيه . ولما تجاوبت اصداء الرصاص في تلك السهول العريضة التي يغطي الجمد وجهها شعرنا من أنفسنا بأنا قتلة لكن عذرنا اننا قتلنا الكلاب مكرهين لان جراية الكلب منها بقدر جراية الانسان

وفي تلك الايام النكداء كان لأقل النوتية بيننا نصيب قائدنا العالم وامتيازاته ولم يكن بيننا مراقبة عسكرية ولا أثر من الآثار التي يتبين بها الرئيس من المرؤوس والمخدوم من الخادم كانت تجمعنا جامعة السعي الى غرض واحد والاخاء المتبادل الموسوم بالولاء والاخلاص

وفي الشهرين الاخيرين بلغ متوسط سيرنا ميلين في اليوم . وكانت الزوابع تعترض سيرنا فتميلنا عن طريقنا أو تعيدنا القهقرى وكثيراً ما كان السر أرنست يوقظني ليلاً بشدة صياحه على أثر كابوس مروّع وحلم يحلمه عن مخاطر هذا السفر وأهواله

ثم جاء اليوم العظيم يوم خلاصنا من هذا الجحيم اذ جعلت « حقول » الجمد تتداعى وتتفتت بسرعة يساعد على تداعيها قوة الانواء الهائلة التي تثور في جنوب الاتلانتيكي وتنتقل الى هناك محمولة على ظهور الامواج . ثم ما عتم البحر المفتوح ان لاح امامنا ولم يبق

شمالينا سوى القليل من الجليد . فأنزلنا قواربنا الثلاثة فى الماء وفيهـا ما تبقى عندنا من الزاد وجذفنا نحو جزيرة الفيل وكانت على بعد مائة وخمسين ميلاً عنا

وكان كثيرون منا قد خارت قواهم لقلة الطعام وكثرة التعب وشدة البرد فاستولى عليهم شيء من السبات والذهول وزيغان الفكر . وكان طعامنا فى المدة الاخيرة مكعبات صغيرة من لحم عجل البحر النيء المتجمد المشرب ماء ملحاً فاشتد بنا العطش اذ لم نستطع فى اليومين

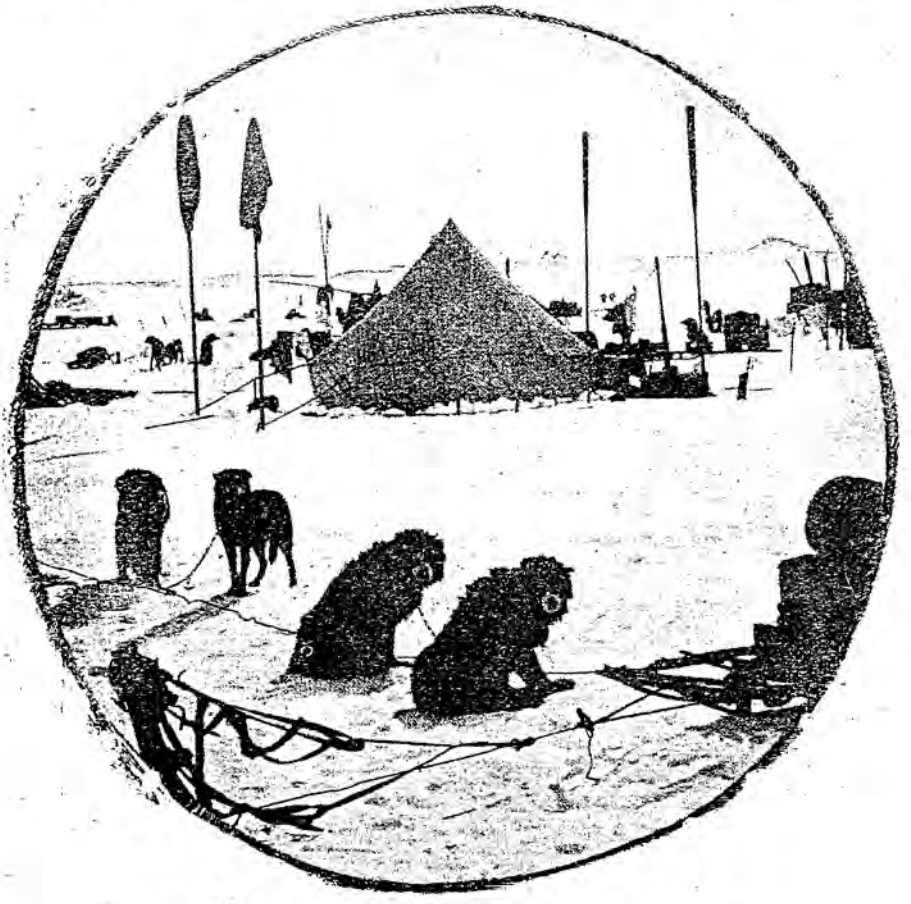

صورة محلة شكاتون والكلاب التى اضطروا الى قتلها توفيراً للطعام

الاخيرين الحصول على جليد لشرب مائه . وزاد عذابنا ظهور بثور البحر على أبداننا . واذا جاء الليل كنا نربط القوارب بعضها ببعض ونجلس متكأ كئين بعضنا على بعض عسى ان ننال بعض الدفء من الحرارة التى تشعها أبداننا وأنفاسنا . وكثيراً ما كانت تدهمنا اسراب من السمك الكبير وتضرب قواربنا بزعانفها تحاول قلبها بنا لتلتهمنا لقمة سائغة

ومن أغرب ما خبرنا فى ذلك السفر الشاق الطويل ان النوتية الاقوياء الأبدان كانوا أقل احتمالاً لمشاقه من نفر العلماء فيه الا نوتيًّا واحداً . وذلك لان الرحل الذى فيه «احتياطي» وذخر كافٍ من القوة العصبية أصلح لتلك المعيشة الشاقة من الرجل القوي العضل .وقد علمت

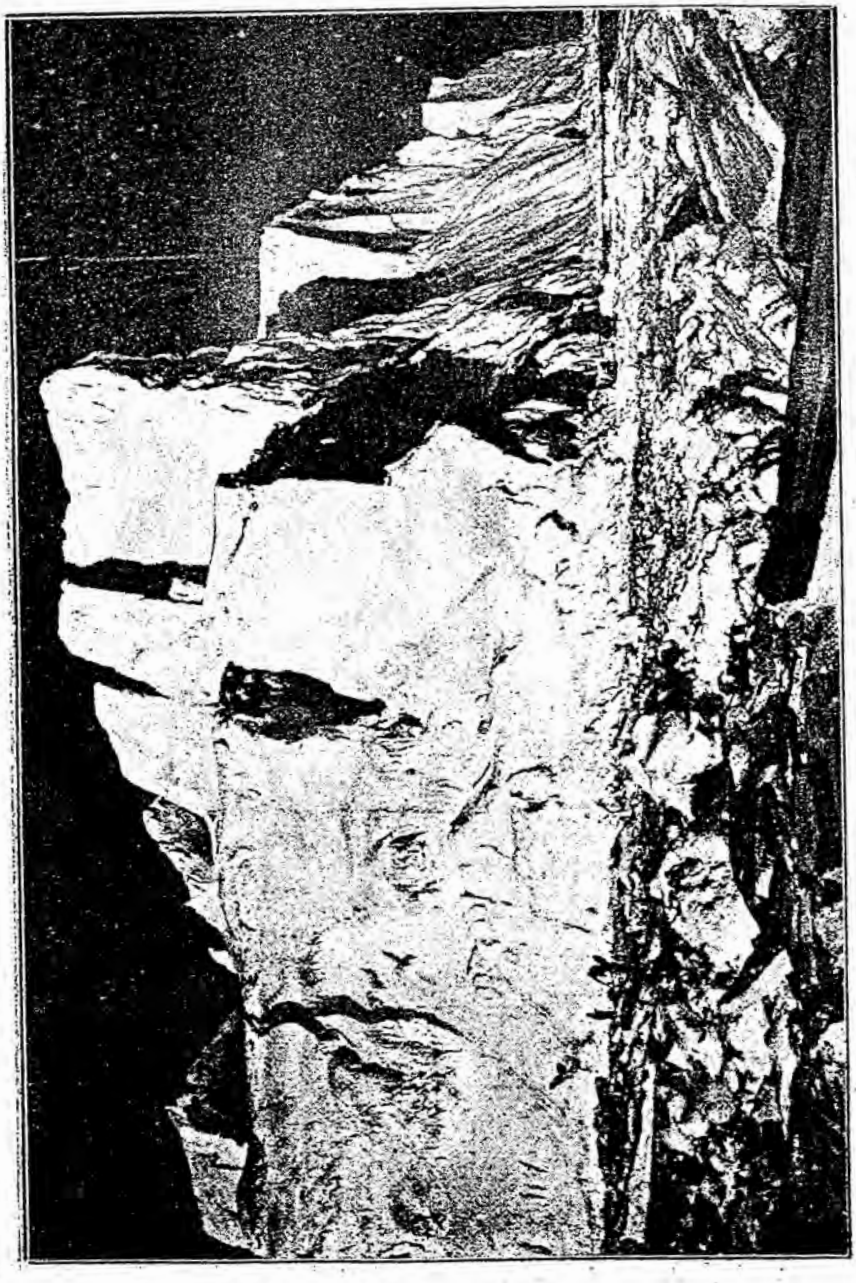

صورة جبل من جبال الجليد فى الاصقاع القطبية ، وتصور ضخامته من مقابلته بصورة الرجلين اللذين عند سفحه الى اليسار

بالاختبار ان المسافرين في تلك الاصقاع يحتاجون الى ثلاث خصال جوهرية أولها قوة الابتكار. أوثانيها قوة الارادة وثالثها قوة البدن. وهذا يعلل كون الرجل الذي أوتي قدراً كبيراً من القوة العصبية المعنوية أكثر احتمالاً للمشقة ممن أوتي قوة بدنية صرفة.

وفي الليلة الخامسة أظلم الجو واشتد النوء اشتداداً لا مثيل له وعجز النوتية عن العمل. لا ثلاثة فقط وكانت الامواج تتقاذف قواربنا الثلاثة كالريشة وهي مربوطة معاً بالحبال. وفي وسط ذلك الخطر المدلهم سطا علينا نوع من الطرب والوهم الغريب كان مصدر رجاء جديد وقوة جديدة وهذا الوهم هو ان قواربنا متينة لا تتكسر واننا نحن أنفسنا غير قابلين لأي صنف من صنوف البلاء والفناء. فبتنا لذلك لا نحسب حساباً للامواج الهائلة التي كانت تتقاذفنا وخيل اليَّ انني غنيت في تلك المحنة أو حاولت الغناء. وقد شعرت بمثل هذا الشعور مرة أخرى من قبل عند تراكم الاخطار علينا في اثناء فرارنا من القطب المغنطيسي.

ولما طلع علينا الصباح اذا نحن على مرأى من صخور شاهقة هي صخور جزيرة الفيل. فنزلنا عليها بعد تعب كثير وعرانا فرح لا يوصف اذ وطئنا اليابسة بأقدامنا بعد ١٦ شهراً لم نرها فيها — اليابسة التي لا تؤثر فيها التيارات ولا العواصف فتمرغنا على حصبائها ولعبنا بها بأيدينا كما يلعب البخيل بنقوده. ثم نصبنا ما بقي معنا من الخيام واصطدنا عجل بحر وجعلنا من دهنه وقوداً لطهي طعامنا فانتعشنا وعادت الينا قوتنا.

وعشنا على الجزيرة خمسة أشهر كنا ننام فيها تحت ظلال قواربنا المقلوبة ونأكل لحم عجل البحر والطير المعروف باسم «بنجوين». وبعد وصولنا بخمسة أيام سافر شكلتون يصحبه خمسة من أبرع الملاحين بيننا راكبين قارباً لاجتياز الاتلانتيكي الجنوبي وقاصدين جزيرة جورجيا الجنوبية على بعد ٨٥٠ ميلا لاستمداد الغوث منها. ففاز بمهمته وأنقذنا بعد مرور خمسة أشهر علينا في جزيرة الفيل وبعد ما أذقنا فيها لباس الجوع والخوف مراراً.

وكنا نتسلى ونحن في الجزيرة أحياناً بقراءة الجزء الباقي معنا من السيكلوبيديا البريطانية من حروف Pol الى Ree وكتب أخرى غريبة. وبين هذه الحروف علم السيكولوجيا فقرأنا ما كتب عنه في المجلد بشراهة وأعدناه مراراً وتكراراً على مسمع النوتية حتى صاروا هم أنفسهم يشرحون الشروح ويعلقون الحواشي على هذا العلم.

وأخيراً بينما كنت أنا وأحد رفاقي واقفين عند الشاطىء نترامى بالاصداف لاحت مني التفاتة الى الأفق فخيل الي اني رأيت قطعة من الجمد عائمة على سطح البحر لكن شكلها

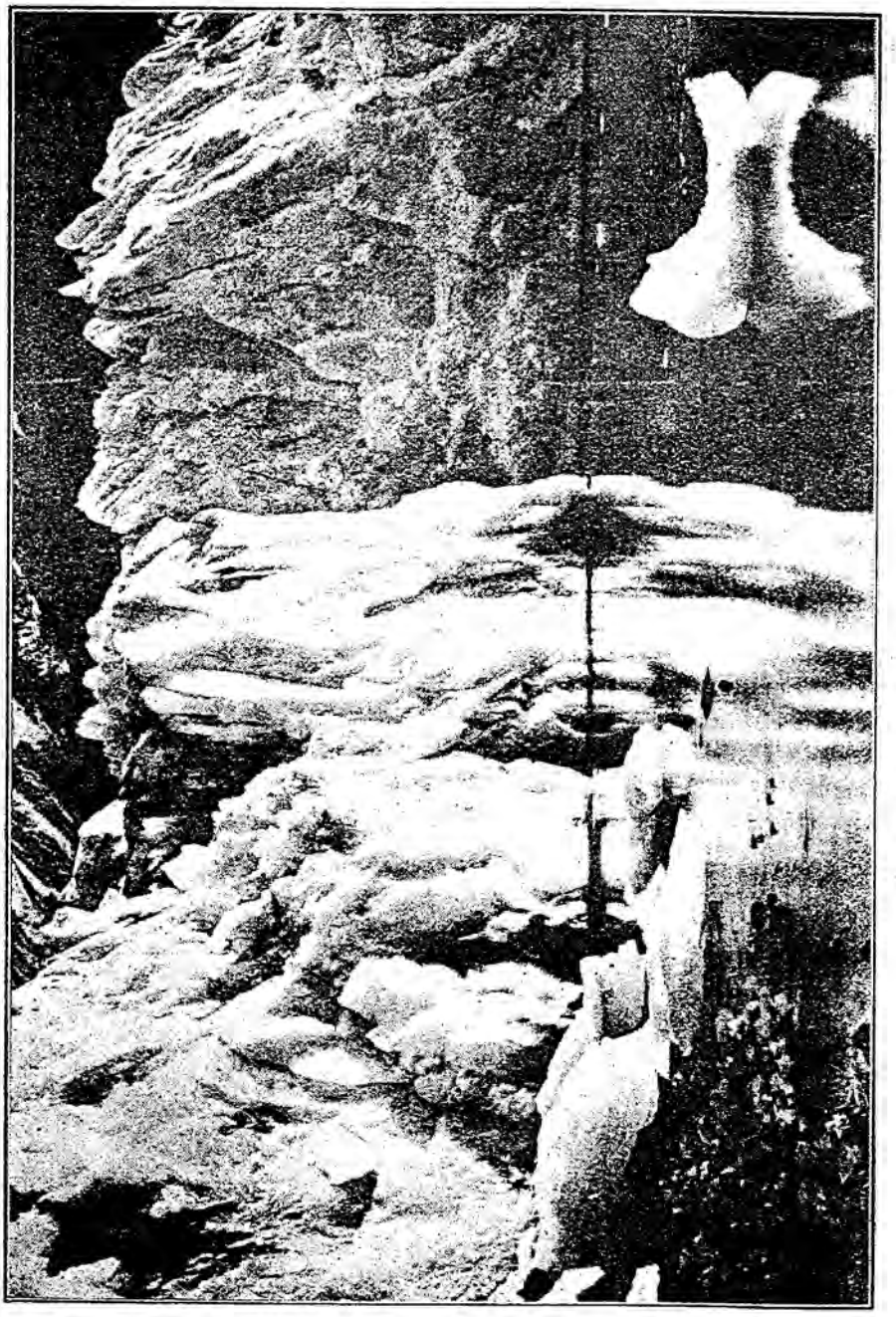

صخور من الجمد فى جزيرة الفيل التى نجت اليها بعثة شكلتون

غريب يشبه شكل السفينة . فوجهت أنظار رفيقى اليها فقال « مضت خمسة أشهر وأنا أرقبها

ولا تزال كما هي » . ثم لم يمض الا القليل حتى تبيناها فاذا هي سفينة حقاً . فيالعجيبة العجائب فصحنا برفاقنا المستظلين بظل القوارب المقلوبة مبشرين فردوا علينا بشتائم مختلفة مكذبين بشارتنا . ثم لما اتضح لهم صدقنا خرجوا يصيحون ويلغطون كمن بهم مسٌّ من الجنون . وانتهى بذلك فصل مروّع من حياتنا طال نحو السنتين

شجاعة صيادى الصومال

مما يروى عن شجاعة صيادي الصومال ان من أعظم العار على أحدهم ان يصاب صياد أوربي بمصيبة وهو يلازمهُ فى صيده وقنصه . واتفق مرة ان ضابطاً انجليزياً شاباً خرج للصيد ذات يوم ومعه صياد صوماليّ فهجم أسد على الضابط وجرحه وألقاه على الارض ووقفه فوقه . فخاف الصومالىّ ان يطلق النار عليه فيخطئه ويصيب الضابط فاستلّ سكينه ووثب على ظهر الأسد فذعر الأسد مزيد الذعر اذ شعر بالرجل على ظهره وفرّ لا يلوي على شيء فسقط الصومالى الى الارض من شدة نفور الاسد وإجفاله . ولما عاد كان كل ما قاله للضابط « ان الأسد صعب الركوب »

برج إيفل وعقلية روائي

بنى برج ايفل في معرض باريس الذي أقيم سنة ١٨٨٩ على أن يزال عند نهاية المعرض ولكنه أبقي لشدة أعجاب الفرنسويين به . وهو كله من الحديد وعلوه ٩٨٤ قدماً ونقل الحديد الذى صنع منه ٧٣٠٠ طن . لكن روائياً غريب الاطوار كان يكره البرج ولا يطيق النظر اليه وهو جاي دى موباسان وحينما ذهب في باريس كان يراه نصب عينيه ثم لما أعياه الصبر على هذا الحال هجر جميع الاماكن التى كان يتردد اليها لئلا يراه وكتب في مقدمة كتابه « لافيه ارانت » يقول « غادرت باريس حتى فرنسا اذ انتهى الامر ببرج ايفل الى أن اتعبني وأضناني كثيراً » فيا للعقول !

الى المتعلقين بعلوم الخيال

والمؤمنين بالسعد والنحس

حكاية بلورة غريبة

(حكاية هذه البلورة غريبة رواها الكاتب الانجليزي المستر يوستاس وقال أن روايته للوقائع دقيقة لم يحد فيها قيد شعرة عن الحقيقة . وقال محرّر المجلة التى نشرت الحكاية فيها معلقاً عليها « ان طلبة علوم الغيب وما وراء المادة لا بدّ أن يهتموا جدّ اهتمام بهذه الحكاية وهي حكاية وقائع عن بلورة قديمة يظن أنها سرقت من هيكل صينيّ . وقد وقعت في يد الراوي بطريقة غريبة فايد وقوعها فى يده شهرتها التي تستحقها)

***

قال الراوي : كنت في أوائل سنة ١٩١٤ سا كناً قرية دفنشر فكنت أزور لندن لمهام تجارية ذات شأن يذكر . ولا حاجة بي هنا الى ذكر التفاصيل بل اقتصر على القول ان تلك المهام تمت على ما يرام بحسن وساطة بعض الرجال فضربنا موعداً للاجتماع الاخير في لندن . وبينا أنا ذاهب اليها لحضور الاجتماع كان لا بدَّ لى من الوقوف ساعة فى احدى المدن انتظاراً للقطار . فبدلاً من أن ابقى فى المحطة منتظراً قصدت الى دكان رجل من أشهر المتاجرين بالتحف في غرب انجلترا . قصدت اليه ونصب عينى غرض معيَّن . ذلك أن صديقاً لى من الكلفين بجمع التحف القديمة كلّفنى كلما سنحت لى الفرص أن افتش في مثل هذه الاماكن عن رسائل مكتوبة بخط يد مؤلف كبير توفى منذ زمان وجيز وقيل أن رسائله هذه قد تقع في أيدي تجار التحف وتعرض للبيع

ولما بلغت دكان المتحف المشار اليه كاشفت صاحبهُ بغرضي فرأيته شيخاً كاسف البال كثير البلبال فقال لى أنه لا يستطيع أن يساعدني بشيء في مهمتى . فقلت هل عندك تحف يعزى اليها أفعال سحرية من تعاويذ وتمائم وما أشبه ذلك فاني شديد الاهتمام بهذه الاشياء هاو لجمعها . وأنا رجل ماديٌّ صرف في الاعمال والاشغال العامة ولكن اهتمامي بالاشياء المعنوية الخفية التي هي من وراء المادة شديد بقرب من اهتمام الامم الكلتية بها (التي من أصل غاليّ كالارلنديين والغاليين فى وايلس وفرنسا)

فتغيرت سحنة الرجل من الكآبة الى شيء من الطرب والخفة وقال بلهجة الجادّ : « أتؤمن بهذه الاشياء ؟ » قلت نعم والاّ ما اهتممت بها . قال « اذن أريد أن استطلع رأيك فى هـذا الشيء » . ثم ذهب الى خزانة في الدكان وتناول منها شيئاً وضعه في يدي فاذا هو بلورة بحجم بيضة الحمامة وشكلها . وكانت شديدة اللألأ تنعكس عنها الى العين الألوان السبعة كما تنعكس عن منشور زجاجي تكسرت عليه أشعة الشمس . ويخيل الى الناظر فيها أنها تنطوى على سحب زرقاء كالتى ترى في بعض الحجارة الكريمة وان قد ادغم في أحد جوانبها مثلث من البلور الاسود

ولست أذكر الآن ما قال لي التاجر تماماً عن كيفية وصولها اليه وانما أذكر أن البلورة قديمة جداً سرقت من بعض الكهنة الصينيين أيام ساد السلب والنهب بكين عاصمة الصين فى حرب البوكسر على ما يرجّح . وكان الكهنة يقدسونها وقد أخبره بائعها انها جلبت النحس على كل من اقتناها ومنهم من أصيب بكوارث عاتية من جرائها . قال التاجر « ولست أعلم شيئاً عن هذه الحوادث المزوة اليها ولكني أعلم هذا : أعلم اني بعدما اشتريتها بثلاثة أيام أصبت باعظم مصيبة في عمري اذ مرضت روجتى وتوفيت . فاذا شئت أن تشتريها فلك ذلك »

فسألته عن ثمنها فاجاب « خذها بلا ثمن فاني لا أريد أن اراها فيما بعد » فاثّرت فيّ لهجة الرجل المفعمة جداً فترددت أولا فى أخذها ولاسيما ان بائعي التحف ليس من عادتهم أن يهبوا تحفهم للناس وقد كان موقناً كل الايقان أن هذه البلورة لا تعود على قابيها الاّ بالخسار

فقلت له : أشكرك على هديتك هذه وأتقبل منك البلورة بسرور ويسوءني أن اسمع بمصائبك ولكنى لا أظن ان ثمة أية علاقة بينها وبين البلورة . وكل ما جرى لك محض صدفة واتفاق . ثم ودعته بعدما طلبت منه أن يكتب اليّ اذا وقعت فى يده مؤلفات الرجل المشار اليه آنفاً . وتركت عنده عنواني وألقيت البلورة في جيبي ونزلت الى لندن . وبعد قضاء مهمتى فيها عدت الى دفنشر

وبعد ذلك بأيام قليلة حدث حادث غريب لا يمكن تفسيره وتعليله . ذلك أنى كنت منتظراً وصول كتاب من شركائى فى تجارتي فلم يصل فكتبت اليهم مذكرة فلم يردنى جوابها وأعدت الكتابة فلم ألق الا سكوتا . فقلقت لذلك أي قلق وعدت فكتبت مرة رابعة ولكن بلا فائدة . فخطرت البلورة على بالي وقلت في نفسى لعلها تكون السبب . ولكنى هزأت بهذا الخاطر ولو لم استطع أن ازحزحه عنى حتى صار كابوساً لي . ولا بد لي من القول هنا اني

لا أزال أجهل الى الآن سبب انقطاع رسائل شركائي عني

وفي نحو ذلك الوقت تعرفت بكاهن ايطالي تابع للكنيسة اللاتينية فاخبرته بحديث البلورة مازحاً وسألته رأيه فيها وكنّا نتمشى في غابة من شجر الصنوبر مقابل مقلع حجارة . فلما فرغت من حديثي فيها وقف ونظر اليّ نظرة استغراب وقال « ان ما تقولة موجب لمزيد الاهتمام . فاننا نحن كهنة الكنيسة اللاتينية نعتقد أن بعض الاشياء المادية كالقربان المقدس يمكن أن يُشرب خواص خفية نافعة على أيدي كهنة الله . وليس هناك ما يمنع ان تشرب بعض الاشياء المادية الاخرى خواصّ شديدة ضارة على أيدي كهنة الشيطان . وقد تكون هذه البلورة منها فقد عرفت أشياء مثلها فيما مضى وهذا هو سبب اهتمامي بها »

فقلت له باسماً « أتريد أن تبقيها عندك مدة لعلك تستطيع اخراج الشيطان منها »

قال « نعم آخذها منك » . وقد لاحظت أنه مبالغ في الجدّ لا يخطر المزاح في باله وهو يحدثني عن البلورة

وبعد ذلك باسبوع قابلت الاب المحترم في بعض الطريق وهو يعدو مسرعاً فلما رآني قال « كنت ذاهباً اليك لأردّ هذا الشيء » ثم ناولني البلورة وهو غير مصدّق انها خرجت من يده وقال « أنا الآن في ضيق عظيم فقد شاعت اشاعات معيبة عني هنا لا رائحة للصدق فيها . ويستحيل عليّ معرفة مصدرها وسأزور استف بليموث سعياً في تبديدها وازالة أثرها . واعلم أن هذه البلورة باب شرّ عليك ونصيحتي اليك ان تطرحها عنك الآن »

قلت « اني لا أفعل ذلك لاني مهتمّ بها غاية الاهتمام . ويسوءني أني أقلقت راحتك بها ورجائي أن تزول اسباب قلقك قريباً »

وبعد أيام خرجت للاقاة اخي وزوجته وكانا قادمين من استراليا وأخذت البلورة معي وغرضي أن اسليهما باخبارها ونوادرها . وبينا كنا نتناول الغداء في بيت أخي قصصت بعض اخبارها فوقعت في نفوس السامعين اعظم وقع وتداولتها ايديهم لمشاهدتها فلما رأتها اختي قالت « لا بد من اخراجها من هذا البيت » وتوسلت اليّ أن اودعها مكاناً آخر الى يوم رحيلي عن بيتها . فظننتها تمزح في أول الامر ولكنها ابانت لي انها جادة كل الجد . فقصدت بعد الغداء الى صانع نظارات لشراء نظارة لي وأودعته البلورة بعد أن قصصت عليه بعض قصصها فضحك ووعدني بان يبقيها عنده الى أن اطلبها منه وأضاف الى ذلك قوله مازحاً « وعسى أن ترانى حيّاً الى ذلك الوقت »

وفي اليوم التالي قصدته لآخذها من عنده فوجدته لا يزال حيًّا ولكن في اضطراب شديد فلما وقعت عيناه عليَّ قال مشيراً الى بارومتر كبير فى زاوية من زوايا دكانه « انظر الى ذلك البارومتر » . فنظرت اليه فوجدت أنبوبته مكسورة والزئبق مهروقاً على الارض فقال « ان هذا البارومتر أحسن ما عندي وقيمته ١٥ جنيهاً وقد سقط من الحائط حيث كان معلقاً وهذا شيء لم يسبق ان جرى مثله وأنا لست مؤمّناً على بضاعتي فخذ بلورتك ورجائي ألاّ تجيء بها ثانية اليّ »

فعدت الى بيت أختي وقصصت ما جرى فكان لحديث البلورة أثر شديد فى نفوس السامعين ومن بينهم شاب من قبيلة البشمن الاسترالية صديق لأخي وكان قد جاء انجلترا لأول مرة . فقال متلهفاً « دعني أجرب البلورة بنفسي لأرى ماذا يحدث فلست بخائف منها البتة »

قلت « ذلك لك » ثم ناولته إياها وطلبت اعادتها بعد أسبوع أو نحوه . وما كاد يتناولها حتى ركب الموتوسيكل وذهب الى كورنوول لزيارة بعض أصدقائه . وبعد سفره بثلاثة أيام جاءني طرد بوستة وفيه البلورة ومعها سطران بقلم الرصاص يقول فيهما « اليك هذه . . . . فقد أصبت بصدمة هائلة قرب سنت أوستل فنقلت الى المستشفى وأنا فيه الآن »

* * *

هذه الحوادث الغريبة أقنعتني بعرض البلورة على بعض الخبيرين فأرسلتها الى قريب لي فى المتحف البريطاني وسألته أن يعرضها على بعض الخبيرين بهذه المسائل لفحصها . فجاءني تقرير مطوّل فقدته وعليه فلست أذكر الاسم الجيولوجي الذي تسمى به المادة التى صنعت البلورة منها . ومما جاء فيه « انها بلورة « صائنة » يستعملها سحرة الشرق للتكهن والمرجح انها قديمة جداً »

فاحتملتها الى امرأة « تشوف البخت » و« تنظر فى البلور » كما يقولون . فأبقتها عندها بضعة أيام ثم أعادتها ومعها تذكرة تقول فيها :

« لاريب ان البلورة شرّيرة فقد نظرت بها رؤًى مفزعة ووجهاً جليًّا عليه سحنة شيطانية . ونصيحتى لك أن تبيدها »

* * *

ما تقدم هو تاريخ دقيق لما جرى لى مع هذه البلورة بين فبراير وأغسطس سنة ١٩١٤ .

ثم لما شبت نار الحرب فى أغسطس من تلك السنة نسيت البلورة وكل ما يتعلق بها . فانتظمت في سلك الجيش وأرسلت الى ثغر من الثغور الجنوبية وأخذت البلورة معي بين أمتعتى . فلم أصب بسوء بل كانت خدمتى العسكرية سلسلة أعمال رائدها النجاح . ولم يحدث لى حادث ذو بال حتى سنة ١٩١٧

وتحرير الخبر انه كان في البلدة التى كنت مقيماً بها تاجر بالتحف مشهور جداً . فخطرت البلورة ذات يوم على بالى فأخذتها اليه ولم أقل عنها شيئاً بل سألته رأيه فيها وهل يشتريها

ففحصها فحصاً مدققاً ثم نظر الىّ برزانة وقال « كلا يا سيدي فاني لا أقتنيها مهما يكن من الامر » . فعجبت منه وسألته عن السبب . فقال « لا أحبّ أن أنظر اليها فهل يمكنك ان تخبرني كيف وصلتك » . فحكيت له حكايتها . فقال « هذا ما كنت أظنّ بها . وان شئت رأياً قيماً فيها فاني أرسلك الى صديق لى يابانيّ فى لندن يتاجر بأمثال هذه الاشياء » . ثم كتب لى اسم الرجل وعنوانه وخرجت

ولما سنحت لى فرصة لزيارة لندن أخذت البلورة معي وقصدت الى دكان اليابانى المشار اليه فلما دخلته شعرت بأني داخل مكان يعرف أصحابه كل شيء عن هذه البلورة حق معرفة

أخبرت الرجل بغرضي من زيارته وأبرزت البلورة ففحصها بالمكرسكوب فحصاً دقيقاً ثم أعادها الىّ باسماً وقال « أنا لا أحب المتاجرة بهذه الاشياء . وقد جيء بهذه البلورة من هيكل صينيّ . ولما كنت أعرف الشيء الكثير عن الكهنة وأعمالهم لا أريد أن يكون لي أقل علاقة بهم »

وقد أردت ان ألقي عليه بعض أسئلة عن هذه البلورة وماهيتها وأسرارها فلم يجب بشيء وأدهشنى منهُ تحوّلهُ بغتة من رجل كثير اللطف والأنس الى رجل كثير الفظاظة . ولما ودعته شاكراً لم يردّ التحية والشكر بل أدار ظهره لي فلم يؤثر فيّ مدة وجود البلورة معي شيءٌ مثل هذه المعاملة الخشنة الفظة . وأدركت من حركاته وكلماته انه يعلم عن البلورة أكثر مما يريد أن يقول

وفي السنة التالية لما بلغت أزمة الحرب أشدّها أرسلت الى ميدان الحرب في فرنسا فأخذت البلورة معي لانها لم تفدنى الا ترقياً ونجاحاً منذ استوليت عليها فبتّ أنظر اليها كتميمة تحرسنى وتدفع عنى الأذى وان لم ينل غيري منها الا الشرّ والنُّكر كما تقدم

وكان مركزي فى سان أومير وقد وضع تحت وصايتى قسم كبير من المستشفيات الثابتة . وكان بين المرضى الذين في عهدتى جندي انجليزى شديد الذكاء فسألته يوماً عن حرفته قبلما

دخل الجيش فقال انه من « أهل الخبرة » بالتحف وانه كان مستخدماً عند شركة كبيرة من شركات لندن فكانت توفده الى الاقاليم لفحص ما يعثر عليه من التحف فيها وتثمينها

فذهبت الى غرفتي وجئت بالبلورة اليه ففحصها وقال «رأيت واحدة مثلها تماما ولا يبعد أن تكون هي التي رأيتها بعينها . رأيتها في منزل رجل من أعيان لندن وقد كانت فيما أرجح عين تنّين صيني مصنوع من البرونز ولكني لم أر التنين نفسه . وهذه التنانين كثيرة في الهياكل الصينية يستعملها الكهنة للتكهن وتفسير رغبات الآلهة وخصوصا في فحص المتهمين والحكم في هل هم أبرياء أم مجرمون . ولا ريب عندي ان هذه البلورة تسببت بارسال كثيرين الى السيف والنطع

وقد فاتني أن أكتب اسم العين الذي قال لي الجندي المريض ان هذه البلورة كانت عنده أو كان عنده مثلها . فلما عدت الى انجلترا كتبت اليه حسبما تذكرت اسمه أسأله هل عنده بلورة سحرية ذكرت أوصافها . فأجابني سلباً . فلا يبعد ان أكون أنا قد أخطأت الاسم أو أن يكون الجندي أخطأه

ومنذ ذلك الوقت لم يحدث حادث جديد ولا تزال البلورة كامنة في علبتها تنتهز الفرصة للاستيقاظ وتجديد عهدها الماضي ونوادرها الغريبة الخفية

وفي مايو سنة ١٩٢٤ أرسلتها الى المتحف البريطاني مرة ثانية أسأل عن ماهيتها فجاءني كتاب يقول انه مركبة من فلوريد الكلسيوم . وليس المثلث الاسود الظاهر على أحد جوانبها شيئاً لحم بها بل هو من مادة البلورة نفسها وسبب اسوداده رسوب كبريتات الحديد من البلورة اليه في ثلاثة سطوح فصلت عن البلورة بالطبيعة فظهر بشكل المثلث

ولم أكد أرسلها الى المتحف حتى ردت الينا مع البريد العائد على جناح السرعة . فكأن رجال ذلك المعهد المحترم عرفوا شرها فاتقوه بأن أعادوها على عجل ولم يستبقوها في حوزتهم أكثر مما اقتضى فحصها المستعجل !

توارد خواطر أم ماذا ؟

قال الحطيئة مادحاً :

مفيد ومتلاف اذا ما سألته تهلّل واهتزّ اهتزاز المهنّدِ

وقال المتنبي بعده بنحو ثلاثمائة سنة مادحاً أيضاً :

يهتزّ للجدوى اهتزاز مهندٍ يوم الرجاء هززته يوم الوغى

مخاطر الطيران

وصور السينما

قصة حقيقية

مارك كمبل طيار أميركي كان يحصل رزقه من لعب ألعاب خطرة غريبة في الهواء بطيارته لمتعهدي صور السينما . فجرت له ذات يوم حادثة جعلته يهجر هذه الحرفة . وهو من سكان مركز لوس انجلوس في ولاية كليفورنيا احدى ولايات أميركا الغربية . ويقال ان ٨٥ في المائة من صور السينما في العالم تأتي من ذلك المركز

أما اللعبة الخطرة التي جازف فيها بحياته والتي جعلته يهجر حرفته هذه على عظم أجره منها فهي أن يقاتل بطل رواية تمثيلية على جناح طيارة طائرة ثم يتغلب البطل عليه ويقذف به من الطيارة في أعالي الجوّ فيسقط الى الارض ويكون كلٌّ (*) منهما مجهزاً بواقية تخفى عن أنظار مشاهدي السينما بمعطف الجلد الذي يلبسه الطيار عادة . ففي اثناء الصراع يتظاهر الطيار بخلع المعطف استعداداً لصراع أشد من الأول فيدفعه البطل فيسقط وفي اثناء سقوطه يحاول خلع معطفه تماماً لتعمل الواقية عملها وتنجيه من الموت سحقاً

وفي اليوم المعين للطيران ركب مارك طيارته ومعه خصمه بطل الرواية والسائق ومع الطيارة ست أخر لتصوير الصراع وسقوط الطيار . ولما كان نجاح التصوير في مثل هذه الحالة صعباً طلب من مارك ألاّ يشرع في الصراع قبل بلوغ الطيارات كلها ارتفاع خمسة آلاف قدم . وكان هناك طيارة ثانية يركبها مراسل جريدة أميركية وهو صديق مارك . وقد حدّث عما رأى فقال :

لما بلغنا علو ميل عن الارض جعلت طياراتنا الثمان تدور في الجو كالولب باتساق وانتظام كأنها في ميدان العرض . وكنت قد جئت لمشاهدة الحادثة لا لغرض آخر فلذلك علوت على الطيارات الاخرى فلا تصورني آلات التصوير . ثم رأيت مدير السينما يلوّح لمارك

(*) الواقية ترجمة كلمة باراشوت كما اصطلح عليها والباراشوت مظلة تقي حاملها خطر السقوط من الاماكن العالية

بالاعلام مؤذناً بابتداء العراك فخرج البطلان الى جناح الطيارة يصولان ويجولان « فحان بينهما الحين ونعق غراب البين » وآلات التصوير تصورهما في مواقفهما المختلفة

صورة مارك كبل هابطا من طيارته الى الارض وخوذته تتقدمه

وللحال رأى خصم مارك من مارك غرة فحشره على طرف الجناح وضيق عليه منافذ الكر والفرّ واشتد اللكم بينهما حتى بلغ غايته فأطيحت خوذة مارك من على رأسه بلكمة من خصمه وراحت تهوي الى أسفل فرد مارك اللكمة بمثلها أو بأحسن منها فأصابت ذقنه فجعل يترنح ترنح السكران كانه يهمّ بالسقوط ثم عاد فحفظ موازنته وتبادل الخصمان اللكم واللطم

ثم حانت مني التفاتة فرأيت خصم مارك يلكمه لكمة شديدة على فكه الأيسر فمال من شدة اللكمة وهوى في الجو ومعطفهُ لا يزال « مزرَّرا » على واقيته فأدركت اذ ذاك ان هذا الصراع الذي أريد به «المناورة» واللعب قد انتهى من غير قصد بكارثة جدّية وأية كارثة

فصعقت لما نال صديقي المسكين وجعلت أرقبه وهو يهوي الى الارض ويدور على نفسه بسرعة . وكان معطف الجلد لا يزال « مزرراً » عليه فلا عمل للواقية لذلك ولا نفع منها . وما زلت أنظر اليه وقلبي يخفق في أثره حتى بات نقطة في الأفق لا يكاد يرى لصغره وبعده عني . واشحت بوجهي عنه كيلا أراه يهبط الى الارض بسرعة الشهاب الثاقب ويسحق سحقاً

ثم أدرت طيارتي نحو الجبال المكسوّة ثلجاً حتى أيقنت أن سقوط مارك انتهى وعدت فتطلعت نحو الجهة التي سقط فيها فلم أر سوى جمع مزدحم في حقل الطيران وهو يموج كالبحر أو كجيش من النمل لصغره . فكلمت صاحبي المرافق لي في طيارتي وقلت ان مارك المسكين مات . قال نعم فوا أسفاه عليه . فقد راقبته حتى أوشك أن يبلغ الارض ثم أطبقت عينيّ لاني لم أشأ أن أرى آخرته السوداء

قال ذلك ثم حولت طيارتي نحو الارض للنزول حتى اذا بلغتها أسرعت الى حيث وقع مارك . فما كدت أصل اليه حتى أمسكني رجل بيدي وصاح « هلو » مضيفاً الى ذلك عبارة من عبارات التحبب المشهورة . فالتفت واذا أنا أرى مارك كمبل بعينه ولم أصدّق عينيّ ـ مارك كمبل كما هو لم يجرح ولم يخدش وكان فوق ذلك هادئاً ساكناً كأنه هبط من الجو على طيارته بطريقة عادية من غير ان يحدث له حادث ما

فقلت ولكن كيف بلغت الارض حيّاً يامارك فقد نظرت اليك ساقطاً حتى أيقنت انك متّ لا محالة . فلم يحر جواباً ومضت ساعة أو أكثر حتى سكن جأش القوم فانتحينا ناحية وقصّ عليّ خبر نجاته العجيب فقال :

كنت في وسط الصراع على طرف جناح الطيارة فلكمني خصمي لكمة لا بد ان تكون قد أفقدتني صوابي لحظة . وكان غرضي قبل اللكمة أن أحل نصف أزرار معطفي حتى اذا هبطت

أستطيع حل البقية بسرعة فتعمل الواقية عملها . ولكن الحكمة فاجأتني وأضاعت صوابي فلما عاد اليَّ كنت أهوي في الفضاء مسرعاً الى حتفي وشعرت كما يشعر النائم الذي يحلم بسقوطه من مكان عالٍ

وكان معطف الجلد «مزرَّراً» عليّ وعلى الواقية تحته وكنت أسقط ورأسي الى أسفل وشعرت بهول موقفي من تغير ضغط الهواء فجأة على أذنيَّ وعلمت انني ساقط بسرعة البرق. وكثيراً ما كنت أشعر بان الارض فوقي وأرى ما عليها حولي من جبل ومدينة وبحر وغير ذلك . يقولون ان الرجل الذي يسقط من مكان شاهق يموت قبل بلوغه الارض هذا كلام لا معنى له

وكان ضغط الهواء يتغير بسرعة عظيمة حتى شعرت بأن أذني أوشكتا ان تنفجرا وكان الألم شديد جداً حتى تمنيت أن أبلغ الارض فأستريح من هذا الألم المبرح في رأسي . وأدركت في الوقت عينه أن لا خلاص لي الاّ بحل أزرار معطفي . فشددت السير المربوط حول عنقي لعلي أحلُّهُ أو أقطعه فلم أستطع ومثل ذلك الازرار . وخيل الي اني قضيت في حلها ساعات طوالاً والحال ان ذلك لم يدم سوى بضع ثوانٍ . وكنت أشعر ان كل ثانية تمر بي من غير أن أنزع المعطف عني تدنيني من حتفي المروّع

ثم لما خانني العنف والقوة في حل الازرار عمدت الى حلها بالرفق واللين كالمعتاد وبقي في من حضور الذهن ما جعلني أبدأ بالزر الأسفل . كل ذلك ورأسي الى تحت وكنت أعلم اني ان حاولت حل المعطف من جهة العنق أولا فان ضغط الهواء يدفع المعطف نحو جسمي فيعرقل كل حركاتي

فحللت الزر الأسفل بعد ما ظهر لي أني قضيت في ذلك دهوراً ثم عالجت الثاني فعصاني أولاً ثم الثالث فكان أشد عصياناً ولم أحله حتى ظهر لي اني كدت أبلغ الارض . أما الرابع والخامس فكانا أسهل مراساً ولما حللت الاخير ساعدني ضغط الهواء على حله ولم أكد أفعل حتى سمعت صوت تمزيق ثم أزيح المعطف عني كأنما نسف بالديناميت

ومن سرعة هبوطي خفت الاّ تنفتح الواقية فشددت ما يسمى «حلقة الاطلاق» لفتحها وبذلت في ذلك كل قوتي فانفتحت بصوت كصوت المدفع فخفت أن يكون ضغط الهواء قد مزقها كل ممزق . وكنت مُذ سقوطي من الطيارة أهوي ورأسي الى تحت فلما انفتحت الواقية وجدتني كلمح البصر ورأسي الى فوق . وأول ما خطر على بالي فتحة الواقية التي في رأسها وهي

بثقب ينسدّ من نفسه لتخفيف سرعة الهبوط فاذا لم ينسدّ فلا نفع للواقية . فنظرت الى فوق فوجدته لا يزال مفتوحا فأيقنت بالهلاك العاجل أو بسحق رجليّ على القليل

ثم نظرت تحتى لأعلم مقدار بعدى عن الارض فقدرت أن بينى وبينها نحو مائة قدم وعدت فنظرت الى الفتحة فرأيتها لا تزال مفتوحة كما كانت . وبينا أنا أحدّق اليها انسدت من نفسها فخفت سرعة هبوطي حالاً الى نحو ستة أميال في الساعة ثم لم أشعر الاّ وقدماي تمسان الارض . فخطوت خطوة الى الامام ثم سقطت مغشيًّا عليّ . وأفقت من غشيتى وأنا أرى صديقاً لى يصب ماء باردًا على رأسي »

وكانت هذه آخر ألعاب مارك الهوائية فترك الطيران بالمرة وتاب عنه وفتح دكانا المتاجرة ببيع السيارات

***

ماذا يشعر
من يسقط من علو ٣٠٠٠ قدم

وقرأنا مقالاً بهذا العنوان فحواه ان ضابطين من ضباط الطيران في الجيش الاميركى القيا أنفسهما من علو ٣٠٠٠ قدم ولكن احدهما لم يستعمل واقيته حتى صار على علو ١٢٠٠ قدم والآخر على علو ١٥٠٠ قدم. والغرض من هذه التجربة أن يعلما الى أي حد يستطيع الطيار أن يسقط فى الجو قبل استعمال الواقية

صورة طيار يتحفز للوثوب من طيارته فى الجو

وقد قابلهما كاتب بعد انتهاء تجربتهما بسلام فوصفا له ما شعرا به وقت سقوطهما فكتبه بقلمه كأنه يتحدث بلسانهما ويصف ما جال فى خاطرهما قبلما هبطا من الطيارة ثم ما شعرا به وهما هابطان فقال :

« أأهبط أم لا أهبط — تردّد لحظة ينقطع فيهما النَّفَس ثم خوض فى الفراغ الواسع . معدة متقلصة ونفس مقطوع . ثم تعدّ —

واحد اثنان ثلاثة . سقوط ستة سبعة . اسرع ٢٢ — ١٣ . دوران — الرأس الى تحت القدمان الى فوق . ٢٧ — ٢٨ ثم تشد يدك حبل الواقية ٣١ الواقية تنفتح بصوت شديد والباقى كحلم . تعوم وتقلع وتتقاذفك التيارات على غير هدى وترى الارض تصعد اليك لتستقبلك . وتنظر حولك الى مكان تنزل فيه . فترى قطعة خضراء قريبة فتنزل اليها برفق وان . ثم انتهى كل شيء »

هذا مثل ما شعر به الطياران وهما يهبطان من ذلك العلو الشاهق ويعادل علو ١٥٠٠ قدم علو بناء ذى ٩٧ طبقة من الابنية المعروفة باسم نواطح السحاب

ومن الاقوال الشائعة أن من يسقط من مكان عال يموت قبلما يبلغ الارض . وان من يستقبل الموت تستعرض امامه حوادث العمر كله من أول تذكره الى ساعة الخطر المحيق به كنها ومضة برق . ولكن الطيارين يقولان ان ذلك غير صحيح أو ان كان صحيحاً في غيرهم فهما لم يشعرا بشيء من ذلك . وقد قال أحدهم انه كان يشعر وهو ساقط بانه يستطيع ان يخلع حذاءه من رجليه اذا شاء . وقال الآخر انه لم يفكر وهو هابط الا فى غدائه . وان الانسان لا يفقد الشعور والصواب بل بالضد من ذلك يشعر بحدة حواسه

وقد حسبوا ان السقوط من ذلك العلو لا يستغرق سوى سبع ثوان !

صورة أحد الضابطين الطيارين قد وثبه من طيارته على علو ١٥٠٠ قدم - لتجربة فعل الواقية

ولا بدّ أن يقدم غيرهذين الطيارين الباسلين على اجراء تجارب أخرى في الواقية ليتحققوا نفعها وليصلحوا أوجه الخلل فيها . فاذا أصلحت ووثق الناس بان الطيران في الطيارات التي تجهز بالواقيات ليس اكثر خطراً من السفر في البواخر وقطارات سكة الحديد أصبح الطيران أروج الرياضات فى المستقبل وحلّ في مستقبل عاجل أو آجل محلّ وسائل النقل المعروفة الآن

صورة الطيارين اللذين التيا بنفسيهما من ذلك العلو الشاهق

نعيب زماننا والعيب فينا

قال ابراهيم بن عبد الله بن حسن لأبيه « ما شعر كثيّر عندي كما يصفهُ الناس » . فقال له أبوه « انك لن تضع كثيّراً بهذا انما تضع بهذا نفسك » .

وقال المتنبي :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيتهُ والذنب للعين لا للنجم فى الصغر

وقال :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمدٍ وينكر الفم طعم الماء من سقمِ

وقال :

ومن يك ذا فمٍ مرّ مريض يجد مرًّا به الماء الزلالا

وهذه الابيات تنطبق على ابراهيم بن عبد الله بن حسن من أهل ذلك الزمان كما تنطبق على ألوف من الخلق في كل زمان ومكان

سبب الموت

كما أظهره العلم لنا

لعالم انجليزي

إ أحدث الاراء فى الحياة هو ان الجسم آلة تولد كهربائية حيوية وتوزعها على العضلات والاعضاء فتحملها على العمل فاذا خف هذا التيار أو عراه خلل نشأ المرض من ذلك . واذا انقطع نشأ الموت .فالجسم بناء على هذا الرأي العلمي بطرية كهربائية . والصورة المرسومة هنا تبين منظر الاعصاب الكبرى التي هي بمثابة أسلاك البطرية . أما الاعصاب الصغرى وهي تعد بالملايين فيصعب اظهارها لدقتها)

* * *

أعظم المطالب فى هذه الحياة الدنيا وأخطرها شأناً وأشهاها في عين كل حيّ البقاء فيها على الدوام أو الخلد الارضي . وكلّ منا يسائل نفسه كل يوم حائراً لِمَ لم يقدر البقاء على هذه الارض للاحياء وخصوصاً الانسان ولِمَ « كلّ حي يموت » عاجلا أو آجلا

هذه المسئلة التي تشغل بال كل منا هي أعظم ما يشغل العلم أيضاً . والعلم انما هو أرقى المدارك الانسانية وهمهُ الاعظم استنباط وسائل لاطالة عمر الانسان على الارض وجعل معيشته مفعمة بأسباب الراحة والسرور بعيدة عن الهموم النواصب ودواعي الصدور

هذا السؤال لِمَ نموت يترتب عليه سؤال آخر ما هي الحياة — سؤالان حاول الانسان الجواب عنهما منذ كان على هذه الارض حيًّا عاقلاً مفكراً فأعياه الجواب حتى الان . أما الخرافات والمذاهب والآراء فى ماهية الحياة فما لا يحصى ولو سلمنا جدلاً بان الحياة منحة يمنحنا الخالق إياها ما قرب ذلك جواب المسئلة قيد شعرة . فما هو الشيء الذي يجعل الدماغ يفكر والقلب ينبض وملايين الخلايا في أجسامنا تعمل وأعصابنا تلبي ملايين الانفعالات التي تطرأ عليها كل يوم . وبعبارة أخرى ما هي الشرارة الحيوية التى تجعل الجسم يحيا ويتحرك ويشعر

اذا عرف العلم ماهية الحياة عرف بالضرورة ماهية الموت كما أن المهندس الذي يعرف

سير آلة ما يعرف أسباب الخلل التي تعوق سير تلك الآلة . وقد كاد العلماء الآن يجمعون في مختلف البلدان على جواب هذا السؤال وهو أن الحياة مظهر كهربائي لا غير

فالدماغ معمل كهربائي تحتوي خلاياه على ملايين من الخلايا الصغرى وكلٌّ منها بطرية صغيرة . والاعصاب أسلاك البطريات فيها مفاتيح لوصل التيار الكهربائي وقطعه وتحريك العضلات والاعضاء أو وقفها عن العمل

أما وقد عرفنا ما هي الحياة فلنسأل ما هو الموت ؟ أو ما الذي يجعلنا نموت ؟ لنفرض ان بطرية الجسم انقطعت عن العمل بسبب مرض أو تناول سمّ أو محض الهرم فلو كانت بطرية عادية كالبطريات المستعملة في ادارة الآلات لعلمنا عنها انها وقفت عن العمل لطارئ طرأ على المجرى أو التيار الكهربائي مع بقاء الآلة سليمة . وهذا هو ما يصيب تيار الجسم أيضاً فان ما نسميه بالحياة ليس شيئاً في حد نفسه بل مظهر أو عمل كهربائي فليس معنى الموت ان هناك شيئاً فارق الجسم بل ان بطرية الجهاز العصبي فيه وقفت عن العمل

هذا هو الوجه الطبيعي الصرف للمسئلة وهو لا ينفي بتاتاً ان قد يكون في الجسم شيء يفارقه بعد وقوفه عن

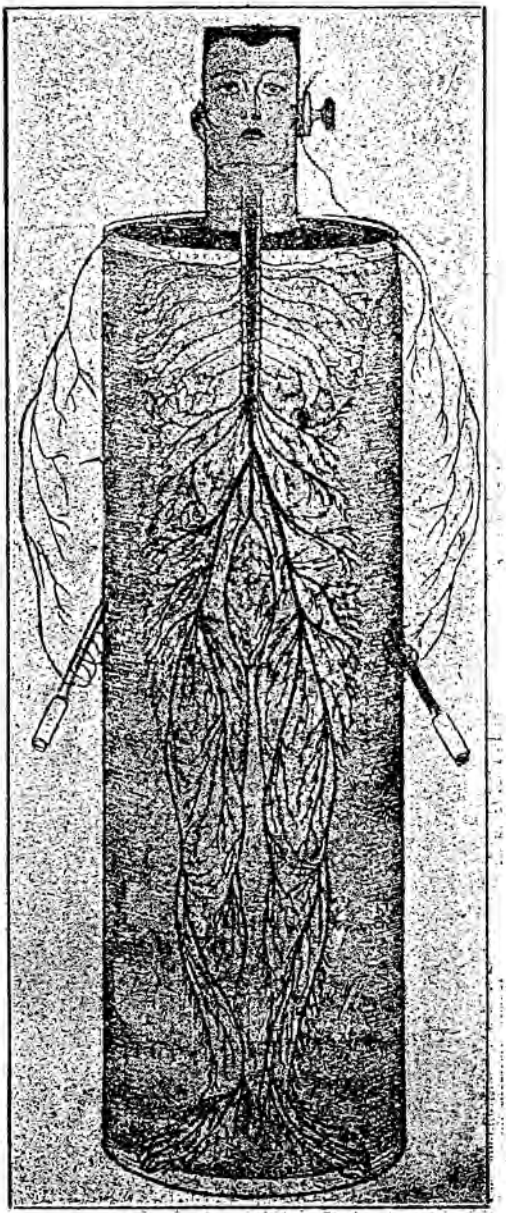

صورة اعصاب الجسم الانساني الكبرى وهي على شكل بطرية كهربائية ومعها الاعصاب الصغرى وهي دقيقة جدا

العمل . وهذا الشيء هو الروح أو النفس أو العقل لا فرق في الاسماء . فلا يخلط بين الحياة الطبيعية والنفس الخالدة

ومن أعظم الباحثين في هذه المسئلة الدكتور جورج كريل الجراح المشهور . فقد أتى على سلسلة طويلة من التجارب والمباحث فيها وأصدرها في كتاب سماه ما ترجمته « تفسير الهزة والنفاد والتجديد الكهربائي في الجسم تفسيراً طبيعياً » . ومما جاء فيه قوله اننا اعتدنا ان نحسب العصب شيئاً شبيهاً بالخيط لا ينقطع وهو ليس كذلك لانه مؤلف في واقع الامر من قطع منفصل بعضها عن بعض لا تتصل ولا تتلامس الا عند العمل . وفي كل منها نقطة من نسيج العصب سميت باسم « نورون » يمتد من طرفيها ألياف شعرية لنقل الانفعالات من الدماغ والحبل الشوكي واليهما فاذا أصابها ما منعها عن العمل انقطع التيار الكهربائي فلم يبلغ الدماغ أو الحبل الشوكي فيقع الخلل في الجسم واذا كان الخلل كبيراً أو تجمع نشأ الموت من ذلك

فالدماغ هو دينامو الجسم وبطريته الكبرى وهو أيضاً أضعف الاعضاء عن صيانة نفسه من الطوارىء يتوقف في ذلك على الكبد وبعض الغدد في الجسم . وخلاياه غير قابلة للتجدد فاذا أتلفت خلية منها لا تحلّ غيرها محلها . واذا جوّع الجسم فنقص وزنه لم يصب الدماغ بشيء مثل ذلك لانه يستمد غذاءهُ من جميع أعضاء الجسم وأنسجته ما خلا القلب

وقد شبه الدكتور كريل الدماغ بالجيش فقال ان الامة اذا كانت في حرب أطعمت جنودها أولا . وهذا هو حال الدماغ فان خلاياه تناضل نضال الحياة ولكن لما كان من وظائفها أيضاً تحويل القوة وكانت هذه الوظيفة عظيمة القدر للجسم فان بعض الاعضاء الاخرى تساعده في تقديم « المهمات » اللازمة للدفاع

وتدل التجارب على ان قطع العصب بين الدماغ وعضلة ما يفضي الى شلّ العضلة أولا ثم الى تضاؤلها وضمورها ولكن اذا حوّل تيار كهربائي الى العضلة في فترات معينة لحملها على التقلص فانها لا تصاب بالضمور . أي ان الكهربائية تصنع للعضلة من حيث وظيفتها وغذاؤها ما يصنع عصب الدماغ لها . وبعبارة أخرى علمية ان الكهربائية مطابقة للعضلة والعضلة مطابقة لها . وبعبارة صريحة غير علمية ان الكهربائية والحياة شيء واحد

ويؤخذ من تجارب الاستاذ بيير ان أمواج الصوت تولد مجرى كهربائيا في عصب السمع في السمك . وعمل غيره تجارب أثبتت انه اذا وقع النور على شبكية العين ولّد مجرى كهربائيا

(البقية على الصفحة التالية)

ينحتون في الجبال تماثيل

يقوم الاميركيون الان بعمل صناعي هائل يجمع بين الدقة والضخامة بين دقة فنون الجمال وضخامة الاعمال الهندسية الكبرى كبناء الاهرام واقامة السدود وحفر الانفاق وما أشبه ذلك

المستر بورجلام النحات الذى تولى نحت التماثيل

ففى ولاية جورجيا يشتغل نحات أميركى ومعاونه بنحت تماثيل فى جبل تذكاراً للجنرال روبرت لى وجيشه الاتحادي وستكون هذه التماثيل على قدر يفوق كل ماعرف قبلا ويقضون فى انجازها مدة طويلة تقدر بعشر سنين

وسيبلغ عدد التماثيل بعد اكمالها ألف تمثال أو أكثر وعلو كل منها نحو مائة وأربعين قدماً وتشغل مساحة طولها ربع ميل على واجهة جبل ستون في الولاية المذكورة وهى واجهة شماء من الغرانيت الاصم

وقد شرعوا ينحتون التمثال الاكبر منها وهو تمثال الجنرال لى فارساً . بدأوا نحته في يوليو من السنة الماضية فاكملوا الرأس تماما واحتفلوا برفع الستار عنه . ومما يدل على ضخامته انه في أثناء الاحتفال برفع الستار عنه مدت مائدة للغداء على كتف تمثال الجنرال جلس حولها ثلاثون نفسا . ومتى تم نحت التمثال فسيبلغ ارتفاعه ارتفاع بناء من أبنية اميركا المسماة باسم « نواطح السحاب » مؤلف من ست عشرة طبقة . ويمكن وضع أبى الهول المصري وراء رأس الجنرال فلا يرى منه شيء . ولو وضع بازائه صنم ممنون الضخم المشهور ما بلغت قمة رأسه أخمص قدم الجنرال ممتطيا جواده

وقد قصد المكان أحد العلماء فلما رأى العمل يعملون ورأى ضخامة ذلك المشروع هاله

(تابع المنشور على الصفحة ١١٨١)

في عصب البصر . وقد قيل انه لو أمكن وصل العصب البصري بالأذن والعصب السمعي بشبكية العين لرأينا الرعد وسمعنا البرق ! !

فخلايا الدماغ هي الوحدات التي تولّد قوة الجسم وهي ليست سوى بطريات كهربائية فاما انها تولد الكهربائية بنفسها أو ان الكهربائية تعمل بواسطتها وعن طريقها

فصاح « يا لخيال دينوقراطس ما أهول هذا العمل» .فأجابه أحد العمال «ومن هو دينوقراطس هذا الذى تستغيث به ؟ » . فقال العالم هو مهندس معمارى من مقدونية القديمة اقترح أن ينحت من جبل اثوس برمته تمثال ضخم تبنى مدينة في احدى راحتيه ويحفر حوض ماء فى الاخرى تجري اليه مياه الجبل كلها . فضحك معاصروه على اقتراحه هذا حسبان أنه مستحيل وفوق طوق الناس

فابتسم العامل للعالم وقال : لما اقترح المستر بورجلام النحات نحت هذه التماثيل في الجبل هزأ كثيرون باقتراحه وقالوا انه مستحيل ولكنه لم يحفل بهزئهم وأحسب ان أولادنا سيعرفونه تمام المعرفة ويجهلون دينوقراطس تمام الجهل

رأس الجنرال لى بعد نحته ويستدل على ضخامته من دقة بلته بالنحات الواقف بازاء عنقه

ومتى تم نحت التماثيل فستبقى على الدهر ما بقي الناس . لان الجيولوجيين يقولون ان الغرانيت الذى تنحت التماثيل منه صلب فلا يتحات الاّ على معدل بوصة واحدة في كل مائة الف سنة . ومن يضمن لنا بقاء بني آدم الى آخر هذا الدهر الطويل

واعلم أن النحت على هذا القدر الضخم يتطلب شيئاً أكثر من معرفة فن النحت — يتطلب اطلاع الجيولوجى وحذق المهندس وتفنن المخترع وعصب مصعّد الجبال وجراءة السائح المرتاد طلباً للاكتشاف فهو صراع طويل مع عقبات صعبة التمهيد

ولما شرع المهندس يضع خططه لانجاز مشروعه لم يلق الا كل مرتاب في نجاحه منغض الرأس استهزاء به لكن ذلك لم يرعهُ ولا فتّ فى ساعده بعد ما أيقن كل الاتقان انه مما يمكن

انجازه . وأول العقبات التى شغلته الاهتداء الى وسيلة فعّالة تضمن له بلوغ البقعة التى اختارها لمشروعه بسهولة وأمان . ذلك بأن الصخور الشماء الصقيلة التى قرر النحت فيها قائمة عمودية على وادٍ عميق تحتها الى علو مئات من الاقدام ثم تنحني شيئاً فشيئاً نحو قنة الجبل فتسلقها كان لذلك مستحيلاً فصنعت سقالات خاصة على مثال مايرى في بعض رسوم هذه المقالة يوصل اليها بدرج تمتد درجاته من رأس الشاهق نزولاً مسافة ٥٥٠ قدماً

صورة النحات ومساعديه فى العمل

والعقبة الثانية الاهتداء الى طريقة لرسم نماذج التماثيل المراد نحتها على عظم ضخامتها .. فقد يسهل على النحات رسم رأس فرس طبيعي اذا كان متوسط طول الرأس قدمين ولكن رأس الفرس الذي يراد نحت تمثال له يبلغ طوله خمسين قدماً وفى ذلك من الصعوبة ما فيه . والرسّام عن قرب لا يرى الا عشر الرسم فى وقت واحد فاذا شاء أن يراه كله ليحكم في صحته وجب أن يتراجع عنه معلقاً في الفضاء مسافة مئات من الامتار

وقد مهد المهندس النحات هذه العقبة بأن صور النموذج بالفوتوغرافيا (وهذا النموذج مصنوع من الطوب المشوي) على نية القاء أشعة قوية عليه من فانوس سحري على مسافة تسعمائة قدم قبالة الجبل فترتسم صورته حيث يراد نحتها ولكن الخبراء قالوا له ان ليس في

الوجود آلة تستطيع القاء ظلّ واضح على مثل هـذه المسافة واذا وجد نور كاف مما يسمى بالأقواس الكهربائية فان حرارته تصهر الألواح الزجاجية التي عليها الصورة

لكن المستر بورجلام لم يعبأ بهذه الأقوال فأقدم على تجارب تمكن بها من القاء ظلال واضحة على مسافة سبعمائة قدم ولكن شدة الحرارة صهرت الألواح الزجاجية كما أنبأ بها الخبراء فتلافى ذلك بان علق بالفانوس منفاخاً كهربائياً يولد مجرى هوائياً قوياً لتبريد الألواح

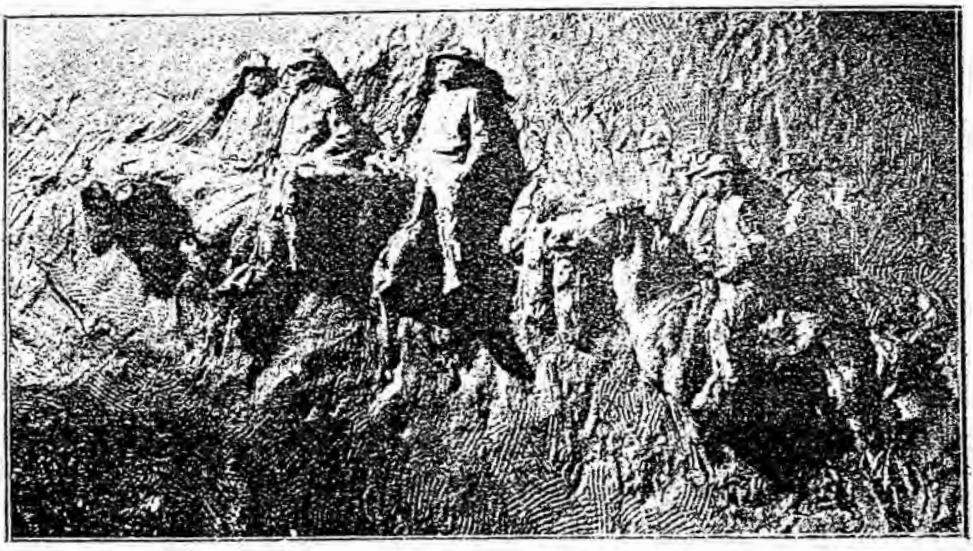

صورة التماثيل المنحوتة فى الصخر وهى تماثيل الجنرال لى واركان حربه واعوانه ولم تنجز تماماً بعد

ويقدرون نفقة هذا المشروع بنحو أربعة ملايين ريال أميركي أو ثلاثة أرباع مليون جنيه تجمع من اكتتاب عام ومن أموال خاصة تجمع من الولايات الجنوبية . وقد بلغت أموال الاكتتاب العام نصف مليون ريال حتى أوائل هذا العام . وسيمدّ شارع كبير بين هذه البقعة وبين مدينة اتلنتا أقرب المدن اليها وهي على مسافة ٢٠ ميلاً منها وذلك ليسهل على الزائرين سبيل الوصول اليها . ويقول الكتاب الاميركيون ان هذه التماثيل ستحسب عجيبة ثامنة تضاف الى العجائب السبع القديمة تذكر الناس الجنرال لي وجيشه وتكون شاهداً ناطقاً بقوة العقل الانساني وقوة العضل الانساني معاً

مستقبل اميركا

وازدحام السكان فيها

يؤخذ من مقالة اقتصادية عظيمة الشأن نشرها الاستاذ ايست من كبار اساتذة جامعة هارفرد الاميركية أن سكان أميركا أحصوا اربع عشر مرة منذ سنة ١٧٩٠ أي بعد اعلان استقلالهم ببضع عشرة سنة فكانوا في الاحصاء الاول أربعة ملايين ثم جعلوا يزدادون بسرعة حتى بلغوا ١٠٦ ملايين سنة ١٩٢٠ . ويقدرون الآن بنحو ١١٤ مليونا

وهذه الزيادة ليست اعتباطية بل هي مطابقة لانحناء حسابيّ له قاعدة معينة . وقد حسب عالمان معروفان هذا الانحناء بالارقام فظهر لهما أن سكان أميركا سيبلغون النهاية القصوى في أقل من قرنين فيصبح عددهم مائتي مليون ثم يقفون عند ذلك الحد ولا يزيدون . وبعبارة أخرى أن سكان اميركا سوف يعدّون ١٨٥ مليونا سنة ٢٠٠٠ و٢٠٠ مليون سنة ٢١٠٠ ثم لا يزيدون بعد ذلك

ومعنى هذه الارقام بعباره اقتصادية أنه ان لم يحدث تغيير كبير يفضي بسرعة الى حرث مساحات واسعة من الاراضي التي لا تعول الآن الاّ جماعات قليلة . أو ان لم تخترع طرائق كيميائية لتركيب الطعام رخيصاً فلا بدّ من ظهور قوة ما تقف نموّ السكان بعد ١٧٥ سنة وتقلّل نموهم بعد ٧٥ سنة الى أن يبيت شيئاً غير مذكور

ان قانون ملطس لا يتغير ولا يرحم . وكل شعب يعيش في مساحة محدودة من الارض لابدّ من تحديد عدده في آخر الامر . وهذا التحديد يبلغ امابواسطة التحكم في المواليد واما بواسطة زيادة متوسط الوفيات . وهذه الزيادة في متوسط الوفيات تتبع على الدوام نزاعاً شديداً على البقاء

وقد قدّر أن الاراضي الزراعية في اميركا تعول نحو خمسمائة مليون نفس على مقياس من المعيشة ليس باقلّ كثيراً من مقياس معيشة الفلاحين في أوربا . فاذا صحّت نبوّة من انبأ بان عدد أهل اميركا يبلغ ٢٠٠ مليون ثم يقف عند هذا الحد كان معنى ذلك أن مقياس معيشة اهل اميركا سوف يبقى عالياً وان متوسط الاعمار يكون طويلاً ومتوسط الاصابات بالامراض يكون واطئاً

ومعنى زيادة سكان اميركا الى ٢٠٠ مليون أن حجم كل مدينة وقرية سيكون ضعفي حجمها الحالي . وأن كل مزرعة تحرث وتزرع مرتين . وأن عابري السبيل يصيرون ضعفي ما هم الآن

وقد قدر العالم برل ان سكان نيويورك سوف يبلغون ثلاثين مليوناً يوم يبلغ سكان أميركا كلها ٢٠٠ مليون ولكن الاستاذ ايست يرى انهم لن يزيدوا على ١٢ مليوناً أو ١٥

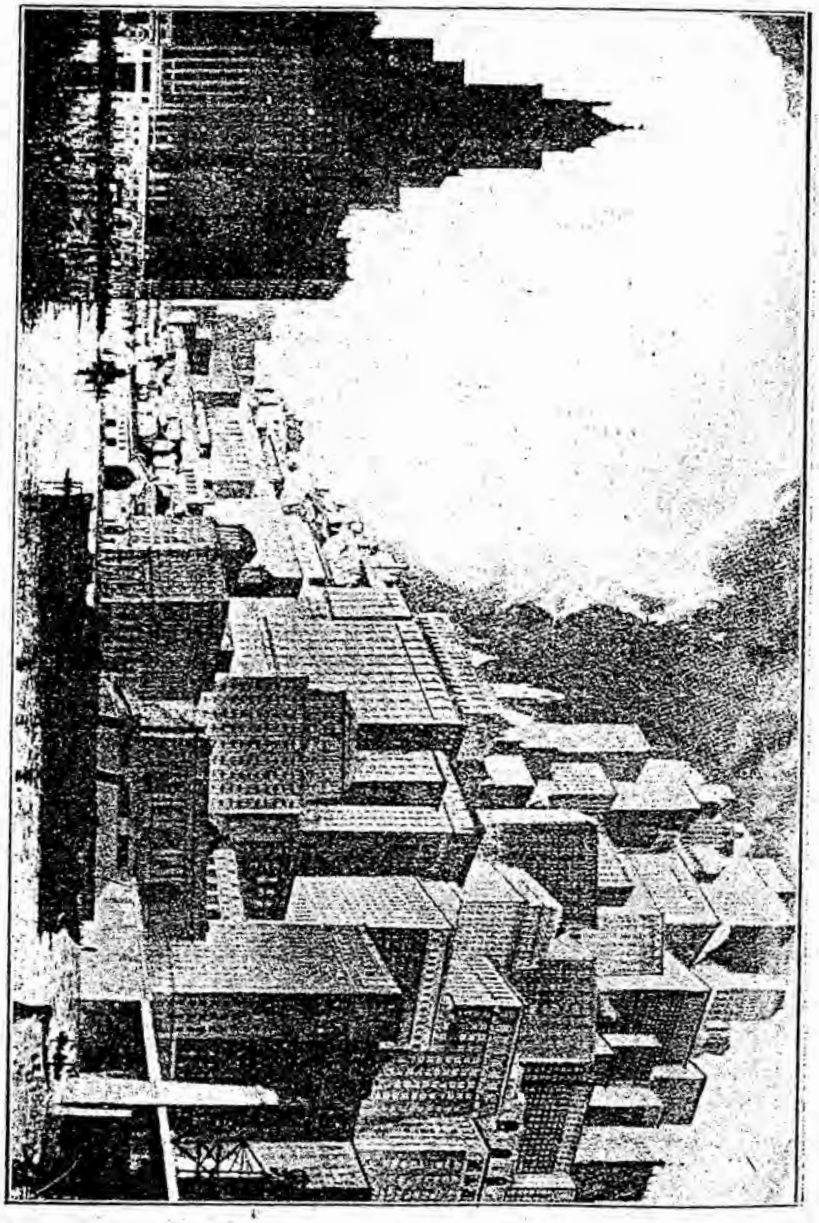

صورة خيالية للابنية التي بنيت احدى شركات نيويورك الكبرى في خلال ربع القرن الماضي . وقد كوم بعضها فوق بعض لضيق المقام

في الاكثر . وان نيويورك سوف تكون حينئذ مؤلفة من أبنية شامخة تناطح السحاب تزداد كل يوم شموخاً وارتفاعاً ولا يقف في سبيل ارتفاعها اعتبار سوى اعتبار ثبات البناء ومقتضيات الآلات الرافعة . ويظهر لأول وهلة غريباً أن تقف الآلات الرافعة على صغر قدرها دون زيادة ارتفاع الابنية على حد محدود . ولكن يرجح ان حاجة الابنية الى هذه الآلات وصعوبة ادخال نور الشمس اليها يحولان دون رفعها الى ماشاء الانسان

ولكن المصاعب الطبيعية وحدها لا تقف في سبيل نمو نيويورك أو غيرها من مدن أميركا الكبرى بل ان المصاعب الاقتصادية هي أعظم تلك المصاعب . ولا تمضي خمسون سنة حتى يصعب سكنها على غير أغنى الاغنياء وأفقر الفقراء

على ان بين هذين الفريقين فريقاً وسطاً يعدّ بالألوف المؤلفة ودخل الواحد منهم خمسة آلاف ريال الى ٢٠ الفاً في السنة . فهذا الفريق يهاجر نيويورك الى بقعة مفتوحة يبني له فيها بيوتاً ويربي أولاده بالحرية والسعة

وهناك تغيير آخر ظهرت بوادرهُ من الآن . ففي الخمس والعشرين سنة الماضية تغير طعام الاميركيين وسيبقى متغيراً . فقد عثر الاستاذ على « كشف » بألوان الطعام في فندق أميركي سنة ١٨٥٠ فأدهشه تعدد ألوان اللحم فيه — لم يقل عددها عن خمسين وفيها جميع أنواع لحم الصيد من الطيور والحيوانات التي لا يأكلها الانسان المتمدن الا قليلاً كلحم الغزال والوعل والدب لانه استبدل بهالحم الخنزير على أنواعه . على ان أعظم مايميز طعام الاميركيين الآن على طعام أجدادهم في أواسط القرن الماضي هو كثرة البقول والاثمار فيه

ومعنى ذلك ان طعام اللحم آخذ في الزوال ولا سيما لحم البقر فان ارتفاع أثمانه أبعده عن متناول الرجل العادي فحلّ لحم الخنزير محله . وسيأتي يوم تكفّ فيه المجازر عن ذبح البقر التي تعلف وتسمّن للحمها لما في ذلك من النفقة فلا يذبح فيها الا البقر التي شاخت وقلّ درّها للبن فبات لحمها تافهاً قليل الغذاء . ولا شيء يحمل الفلاح على تربية البقر لذبحها ما دام دخله من لبنها ضعفي دخله من لحمها كما هو الحال الآن

وهذا ما لا مفرّ منه الاّ اذا وقف عدد السكان عند حدّ اوطأ بكثير من الحد الاقصى الذي تخرج الارض عنده نباتها طعاماً للانسان . فان مساحة الارض التي تكفي لاخراج طعام الرجل الواحد من اللحم تبلغ ثمانية أضعاف الارض التي تكفيه لاخراج طعامه النباتي الصرف

(البقية على الصفحة التالية)

العناية بالمسلولين

قال طبيب : أسعدني الحظ بحضور محاضرات في التدرن الرئوي أو السل القاها اطباء درسوا الداء درساً دقيقاً وممرضات قضين سنين طويلة يمرضن فيها المسلولين . فسمعت أحد الاطباء يقول « السل أفظع شيء في العالم » . وقال آخر « ان السل في درجاته الاولى أسهل الأمراض شفاء »

تبتدئ سيكولوجية هذا الداء يوم يخبر الطبيب العليل بأنه مصاب به . ولطالما سمعت الناس يسألون المصاب : ماذا قال لك الطبيب لما أخبرك بأنك مصاب بالسل . وماذا خطر ببالك لما علمت أنك مصاب به . وقد استدللت من الجواب عنها انك لا تستطيع ان تكاشف العليل بالحقيقة من غير أن تلقى فى قلبه روعاً شديداً

وفي وسع الطبيب أن يطلع العليل على الحقيقة بطريقة لطيفة ملؤها العطف ورقة الشعور ولكن ذلك مثل الحكم على متهم بانهُ مجرم . فقد يتلطف القاضي في ابلاغهِ الحكم ويبدى عطفه عليه ولكن ذلك لا يغير النتيجة

شكا طبيب خبير بالسل وتشخيصه وعلاجه ان المرضى قلما أطلعوه على حقيقة أعراضهم كلها . وهذا قد يكون صحيحاً ولكن ليس سببه غش الطبيب بل رغبتهم في غش أنفسهم عن غير قصد منهم مدفوعين الى ذلك بعامل الخوف خوف المرض وخوف الموت . وقديصح القول خوف الحياة أيضاً لما يصم ذلك الداء أو المصاب به من العار في اصطلاح الناس حتى

(تابع المنشور على الصفحة ١١٨٨)

وقد كان كل اربعة أنفس من الاميركيين فى كل خمسة من الفلاحين في اوائل القرن الماضي (أى ٨٠ فى المائة) فنقصوا شيئاً فشيئاً حتى لا تزيد نسبة الفلاحين الا ن الى غيرهم على ٣٠ فى المائة . وكل ثلاثة فلاحين يعولون عشرة انفس . وستزيد هذه النسبة بزيادة تطبيق العلم على العمل في الزراعة وابلاغ شؤونها حدّ الكمال الممكن

ويرى هذا العالم انه لا تمضي عشرون سنة حتى يصبح ٨٠ في المائة من الاميركيين بين سكان المدن والبنادر الكبرى والقرى والباقي (٢٠ في المائة) من الذين يكون عملهم اخراج طعام الامة وتموينها . ويقدرون أن الفلاح الواحد يستطيع أن يعول ٥ انفس الى ٦

لتراهم ينفرون من المسلول نفورهم من الاجرب والمجذوم فضلا عما في الاصابة به من الضعف الحائل دون السعي وراء الرزق

وقد وجدت احدى الممرضات باختبارها الطويل انه كثيراً ما يحدث ان يفصل رب عائلة مسلول عن عائلته لمعالجته في أحد المصحات الخاصة بالمسلولين فاذا رأى ذلك وفكر في أخذه من بين اولاد لا عائل لهم سواه غلبه اليأس فرجح كل نفع يمكن ان يجنيه من ذلك المصح. وقد عرضت الممرضة ذلك الامر على رجال الحكومة وأبانت لهم عدم فائدة العلاج في أحوال مثل هذه فلم يقتنعوا بقولها حتى اثبتت الايام صحته فعدلت الحكومة عنه . وهي الآن تسمح بمعالجة رجال الجيش في منازلهم بدل المصحات فدل الاختبار على فائدة هذه الطريقة

ويجب على الطبيب أن يسأل العليل ما يريد ان يسأله من المسائل على انفراد فلا يكون بينهما ثالث حتى الممرضة ويجب ان يجزئه على قول الحقيقة . وليس ثمة من العلاقة بين العقل والجسم في مرض من الامراض مثلما بينهما في هذا الداء فيجب النظر في جميع أحوال المريض الشخصية وحياته النفسية والاجتماعية وما لابس ذلك . أي انه يجب أن يعالج عقله علاج جسمه

وكثيراً ما تساعد الممرضة الطبيب في الاطلاع على حالة المريض تمام الاطلاع فالواجب عليها ان تزيد ثقة المريض بطبيبه وتحضه على طاعة أوامره وان تحمل المريض على التعلق بها . وقد يساعد الطبيب اخوات المريض وعماته وخالاته أما أمه فالغالب ان تعرقل عمله وتشوش عليه . ويضر المريض شدة تظاهر أهله بالخوف من العدوى

على ان مفتاح علاج هذا الداء الانبساط والابتهاج فيجب ان يكون الطبيب والممرضة كثيري التيمن فان ذلك يحوّل العليل من التشاؤم الى التيمن مثلهما . والسل أفضل مدرسة لبناء الاخلاق ولا سيما اذا قابله المريض والطبيب والممرضة على السواء بالصبر والشجاعة

أحكم بيت

قالوا ان أحكم بيت قالته العرب في وصف الموت بيت أمية بن أبي الصلت القائل:

يوشك من فرّ من منيّته في بعض غرّاته يوافقها

من لم يمت غبطة يمت هرماً للموت كأس والمرء ذائقها

وفي رواية «فرّاته» مكان «غرّاته» ولكن سيبويه روى الثانية في «الكتاب»

اقبح الحيوان

فى أسر الانسان

وصف أحد ظرفاء الكتاب بعض الحيوانات القبيحة التى رآها في حديقة الحيوانات بلندن وقدم لذلك الوصف بمقدمة قال فيها ببعض تصرّف : يظهر ان الطبيعة تحذو أحياناً حذو النحّات الماهر الذى انطبع على شيء من الظرف وحب الفكاهة والخروج عن معانى الجمال الى معانى القبح ان كان للقبح معانٍ .فانها كثيراً ماتعدل عن صورها وأشكالها الجميلة الى صور وأشكال هي أقرب الى « المساخر » منها الى الجمال الساحر

تتلاعب بالاشكال والألوان حتى الطباع والعادات والاخلاق فتخرج لنا أشياء نضحك منها أو نرتعد خوفاً أو نقف امامها وقوف المبهوت المدهوش . ولا شك انها صحت قليلاً من سكرتها في بضع مائة ألف السنة الماضية أو نحوها لاننا بتنا لانرى شيئاً من نماذجها المفرطة في القبح الا بين المتحجّرات»

على انك اذا زرت حدائق الحيوانات رأيت بعض تلك الحيوانات التى تستحق ان تعطى لقب « المساخر » لقبحها حتى كأنها مسخت مسخاً ثانياً

ومن عادة العلماء اذا رأوا حيواناً فائق التزين أن يقولوا ان هذه الزينة في الذكر هي لاغواء الأنثى في فصل المزاوجة . آمنّا وسلمنا بأن ذلك هو الحال في بعض الطيور الجميلة الريش كالطائر المعروف باسم « عصفور الجنة » . ولكن ما الرأي في هذه «المساخر» التى سنصفها لك

الاورانج أوتانج

هذا صنف من القردة تنبت له حول وجهه دائرة لحمية تزيده شناعة على شناعته . وقد سئل أحد العلماء عن معنى هذا « البرواز » فقال : تصور قرداً من هذا الصنف نزل الى ضفة نهر ليشرب فتفاجأه تمساح وأعمل أسنانه في «بروازه» ولكن الاسنان لاتثبت فيه لسهولة تمزقه فينجو القرد منه خائفاً بعض الشيء ولكن من غير أن يصاب بأذى يذكر لان «البرواز» خالٍ من العروق فلا يخرج من جرحه دم ثم لا يلبث أن يلتئم بأسرع مما جرح

هذا مذهب .ولعالم آخر مذهب آخر وهو ان البرواز ليس بزينة بل علامة على الشيخوخة

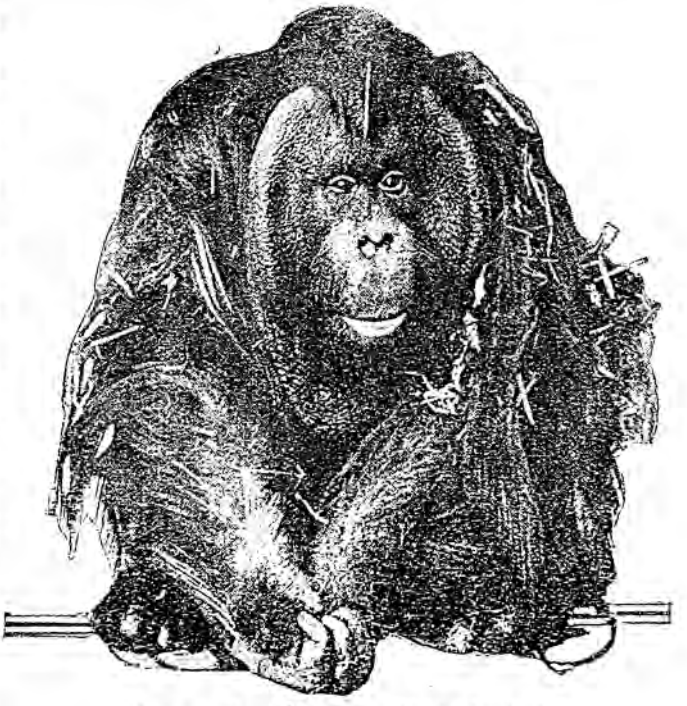

الاورانج اوتانج الذى يحسب أبشع القردة منظراً

والهرم . وقد كان في حديقة لندن قرد من هذا الصنف اسمه « سندي » هلك في الصيف الأسبق بعد مامرّ عليه ست وعشرون سنة في الأسر . ولم تكن له في شبابه تلك الهالة فلما شاخ نبتت وكلما هرم كبرت حتى رئيت قبيل موته كما ترى فى هذا الشكل

ومن النكات المروية عنه فى شبابه انه كان فى حوزة عالم طبيعيّ حينئذ وهو أول قرد عرف فضائل المشروب المعروف باسم « بندكتين » . ذلك انه دار يوماً في غرف سيده حتى عثر على زجاجة « بندكتين » ملآنة فكر عيها الى ثمالتها . ورأى بعد ذلك ان خير مايصنعه أن ينام فقصد الى المكتبة مترنحاً وتناول نحو مائة مجلد منها فمزقها وجعل منها وطاءً له ثم نام نومة طويلة

ولم يخبرنا الكاتب بما كان بين العالم وقرده ولكن يخيل الينا ان العالم تدرع بصبره المشهور ورضي من هذه الخسارة بالسكوت والتسليم

أرض فارك

أو خنزير الارض

هذا اسم حيوان كالخنزير يعيش فى جنوب افريقيا فكأن بعض اسمه عربي الأصل والله أعلم . طوله نحو ست أقدام ورأسه رأس خنزير وأذناه أذنا حمار . وظهره محدودب كظهر هرة مروّعة وذنبه كذنب الكنجارو . وقوائمه قصيرة تنتهي بأظافر كأظافر الدبّ . وطعامه

ارض فارك او خنزير الأرض وهو ليس دون السابق قبحاً

النمل ولذلك تجد لسانه طويلا لزجاً كسائر أصناف الحيوانات التي تتخذ النمل طعاماً لها . ومع ذلك فله أسنان كاملة

فاذا بقي هذا الحيوان يقتات بالنمل فقد أسنانه على مرّ الزمن كما أخذ الانسان ينقد أسنانهُ لانه هجر الطعام الصلب الذي كان يأكلهُ أجداده من قبل

ومن غريب أطواره انه يحفر وجاراً أو نفقاً له في الارض بحذق وسرعة غريبين . فاذا عثر جماعة من الرجال على وجار له وشرعوا يضربون الارض بمعاولهم ويزيلون التراب بمجارفهم خلفهُ على أمل اللحاق به أعياهم ذلك . فلا يصاد الاّ بتقطع الطريق عليه والحفر فوق المكان الذي يظنون انه حفر نفقهُ فيه . وقد يخطىء ظنهم فلا يصيبون

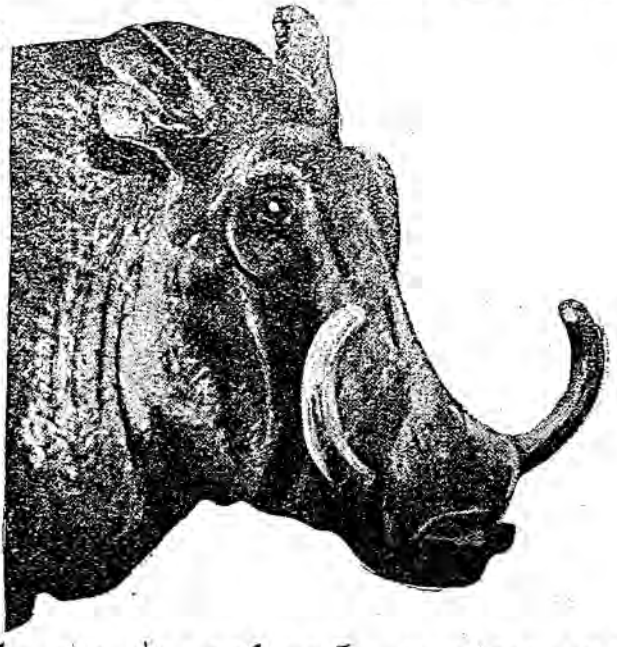

الخلوف ذو الثآليل

ولكن « ولكل شيء آفة من جنسه » وآفة هذا الخنزير خنزير آخر اسمه (وورت هوج)

الخلوف ذو الثآليل وتزيده ثآليله قبحاً كما تزيد الجبل شاماته حسناً أي الخلوف ذو الثآليل . هذا

جورج النسناس ويصفونه بأنه من اقبح حيوانات حديقة الحيوانات صورة . وفي تسميته باسم جورج حكاية ذوق فيها ولو كان اسمي جورج لتصدت الى لندن ووقفت أمام قصره وقلت له اما ان تغير سحنتك أو تغير اسمك

يسطو على خنزير الارض فيخرجه من وجاره ويتخذه مسكناً له . وسمي بهذا الاسم لثاكيل قرنية تنبت فوق عينيه وتحتهما وتزيده قبحاً

قال الكاتب الذى لخصنا عنه هذه المقالة : ومع هذه العيوب الخلقية فيه فان له مزية تحببه الينا وهو ان اللحم المقدد الذى يصنع منه صنف عال ! ! حتى لقد اقترح أحد المولعين به المعجبين بفضائله ان تلقح الخنازير الاهلية منه لتخن اللحم الذي يكسو أضلاعه . وهذا الخنزير شديد الالفة والغيرة على اناثه

جورج النسناس

ومن أغرب وجوه الحيوانات وأقبحها وجه النسناس جورج فى حديقة لندن . فان له عينين صغيرتين فوق خدين لونهما أصفر أزرق . وله عرف كعرف الأسد وشدق واسع وشعر يكسو مقدم وجهه كما ترى في صورته المدرجة هنا

شيطان تسمانيا

على ان أقبح الحيوانات

(البقية بأسفل الصفحة التالية)

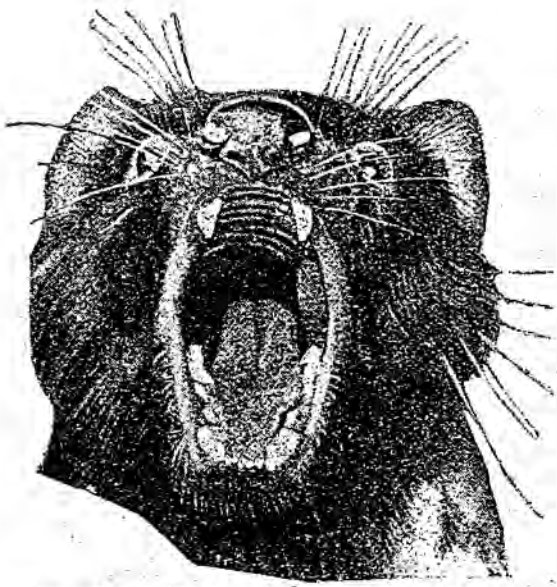

شيطان تسمانيا هذا قد أعطى جائزة القبح ولقب بسيد البشعاء بلا امتنان . اللهم ان كان هذا الشيطان على صورة شياطين جهنم فقد آمنا بالله وباليوم الآخر

البلاغة

وما قيل فى تعريفها

عجالة خاصة بطلاب البكالوريا

عرفت البلاغة تعريفاً غير موفق في كتب البيان بانها « مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته » وقد عولت كتب تدريس البيان في المدارس على هذا التعريف الذى نعتناه بغير الموفق . وانما نعتناه بهذا النعت لانك اذا جئت الى تفسير « مقتضى الحال » للطلبة أشكل عليهم الامر اشكالا لايجدون مثله في سائر أبواب البيان ولا سيما اذا قلت لهم ان مقتضى الحال هو مايدعو اليه الأمر الواقع كالتأكيد في خطاب المنكر أو الحال الداعى الى التكلم على وجه مخصوص الى آخر ما هنالك

وعجيب أن لاتفسر البلاغة الا بهذا التفسير المعقد وهي التى تطلق على علمى المعاني والبيان وقد عرف البيان بأنه مايحترز به عن التعقيد المعنوى . — عجيب ألا تعرف إلا بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال الخ ثم يفسر المقتضى والحال بما يشكل على الراسخين مع أن كتب الادب واللغة ملأى بتعريف البلاغة وإبانة المراد منها

قيل لجعفر بن خالد ما البلاغة قال التقرب من المعنى البعيد والدلالة بالقليل على الكثير . وقيل لابن المقفع ماالبلاغة قال قلة الحصر والجراءة على البشر . وأبلغ من ذلك قوله « البلاغة هي التى اذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها » . ونصح للكتاب بنبذ الوحشي من الكلام والفاظ السفلة واتباع الالفاظ السهلة

وقيل لآخر ما البلاغة قال تطويل القصير وتقصير الطويل . وقيل لأعرابى ما البلاغة قال حذف الفضول وتقريب البعيد . وقيل لارسطاطاليس ما البلاغة فقال حسن الاستعارة . وقال جالينوس انها ايضاح المعضل وفك المشكل . وقال الخليل بن أحمد انها ما قرب طرفاه

(تابع المنشور على الصفحه ١١٩٤)

وجهاً بلا خلاف الحيوان المعروف باسم شيطان تسمانيا . وهو فوق ذلك أضيقها خلقاً وأشدها شراسة . اذا أرادوا تنظيف قفصه رموا امامه عارضة من الحديد في قفص آخر مجاور له فينقض عليها كالبرق الخاطف ويظل يعضها ويعالجها بأسنانه حتى ينتهوا من تنظيف قفصه فيعيدوه اليه

وبعد منتهاه . وقال خالد بن صفوان انها اصابة المعنى والقصد للحجة . وقال آخر أنها تصوير الحق في صورة الباطل وتصوير الباطل في صورة الحق . وقال ابراهيم الامام أنها الجزالة والاصابة (أنظر باب البلاغة فى الجزء الثالث من العقد الفريد)

وفي رواية أخرى عن ابراهيم بن محمد الامام انه قال « يكفي من حظ البلاغة أن لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء افهام السامع . روى هذه الرواية الجاحظ وعلق عليها بقوله « وأما أنا فاستحسن هذا القول جداً » . ومما ذكر عن تعريف البلاغة قوله :

قيل للفارسى ما البلاغة قال معرفة الفصل من الوصل . وقيل لليوناني ما البلاغة قال تصحيح الاقسام واختيار الكلام . وقيل للرومى ما البلاغة قال حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الاطالة . وقيل للهندى ما البلاغة قال وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة . وقال بعض أهل الهند جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بموضع الفرصة

وكان أبو شمر يقول ليس من المنطق أن تستعين عليه بغيره من مثل الاشارة . وقال معمر أبو الاشعث قلت لبهلة الهندى ما البلاغة عند أهل الهند قال « أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الامة بكلام الامة ولا الملوك بكلام السوقة . ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الالفاظ كل التنقيح ولا يصفيها كل التصفية ولا يهذبها غاية التهذيب » ألخ

وقال معاوية لصحار بن عباس العبدي . ما هذه البلاغة التى فيكم . قال شيء تجيش به صدورنا فتقذفه على السنتنا . قال ما تعدون البلاغة فيكم : قال الايجاز . قال معاوية وما الايجاز قال أن تجيب فلا تبطىء وأن تقول فلا تخطىء

وقال المفضل قلت لاعرابي منا ما البلاغة : قال الايجاز في غير عجز والاطناب في غير خطل . وقال ابن الاعرابي قلت للمفضل ما الايجاز عندك قال حذف الفضول وتقريب البعيد

وقال ثمامة قلت لجعفر بن يحيى ما البيان قال أن يكون الاسم يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك وتخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة سليما من التكلف بعيداً عن الصنعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل

وقال الاصمعي البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر

وقال العتابي كل من أفهمك حاجته من غير اعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ

وقيل لعمرو بن عبيد ما البلاغة قال ما بلغ بك الجنة وعدل بك عن النار وما بصرك مواقع رشدك وعواقب غيك

وقال بعضهم « لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك » . وعلق الجاحظ على هذا قوله « وهو من أحسن ما اجتبيناه ودوناه »

وقال اسحق بن حسان : لم يفسر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قط . سئل ما البلاغة فقال البلاغة اسم جامع لمعان تجرى فى وجوه كثيرة . فمنها ما يكون في السكوت . ومنها ما يكون فى الاستماع . ومنها مايكون فى الاشارة . ومنها مايكون فى الحديث . ومنها مايكون في الاحتجاج ومنها مايكون جوابا . ومنها ما يكون ابتداء . ومنها ما يكون شعراً . ومنها ما يكون سجعاً وخطبا ومنها ما يكون رسائل . والايجاز هو البلاغة » الخ

وقال بشر بن المعتمر من كلام طويل : فان أمكنك ان تبلغ من بيان لسانك وبلاغة قلمك ولطف مداخلك واقتدارك على نفسك على أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الالفاظ الواسطة التى لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الاكفاء فانت البليغ التام »

وقال الجاحظ : والعتابى حين زعم أن كل من أفهمك حاجته فهو بليغ — لم يعن أن كل من أفهمنا من معاشر المولدين والبلديين قصده ومعناه بالكلام الملحون والمعدول عن جهته والمصروف من حقه أنه محكوم له بالبلاغة كيف كان . فمن زعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمعرب كله سواء وكله بياناً

فهذه الاقوال في البلاغة مضافة الى التعريف غير الموفق بل منسوخة عنه كافية لافهام الطالب مهما يظلم ذهنه معنى البلاغة والله أعلم

حكم للامام علي

قال علي بن أبي طالب : أوصيكم بخمس لو ضربت اليها آباط الابل لكان قليلا : لا يرجون أحدكم الا ربه . ولا يخافن الا ذنبه . ولا يستحي اذا سئل عما لا يعلم ان يقول لا أعلم واذا لم يعلم الشيء ان يتعلمه . واعلموا ان الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد فاذا قطع الرأس ذهب الجسد

واثنى رجل عليه فأفرط وكان على له متهماً فقال « انا دون ما تقول وفوق مافي نفسك »

سياحة فى الحبشة

صور جديدة

من أغرب حكايات السياحات والاسفار حكاية ضابطين انجليزيين أقدما حديثاً على سياحة في شمال الحبشة الغربى قطعا فيها خمسمائة ميل ووصلا الروصيرص في السودان بعد ما كابدا الاهوال

واسم هذين السائحين المستر فارجس والملازم ركاردس من قسم الطيران . وكانت قافلتهما مؤلفة من ٢٠ رجلاً و٢١ بغلاً . خرجت هذه القافلة من الوكالة البريطانية في أديس أبابا عاصمة الحبشة قاصدة السودان فقطعت ٥٠٠ ميل في ٥٢ يوماً أي انها قطعت نحو ١٠ أميال فقط في اليوم لكثرة ما لقيت من عداء الاحباش

المستر فارجس زعيم البعثة راكبا حماره والى يمينه حارسه

لهما في الطريق . ولم يمنعهم من مقاومتها كون الانجليزيين كانا مزودين برخصة وتوصية خاصة من الرأس طفري ولي عهد الحبشة . وقد وصى بهما لان الملازم ركاردس أركب معه الرأس طفري في طيارته عند مرور الرأس بعدن فى طريقه الى أوربا سنة ١٩٢٣ وطار به لاول مرة . ولكن الحبشان لم يعبأوا بتوصية الرأس كثيراً بل تجاهلوها . وكان بين رجال القافلة ثمانية من الجنود الحبشية فتمردوا في اثناء السفر حتى اضطر الضابط الى تجريدهم من سلاحهم وضربهم عقاباً لهم

وقد روى السائحان أن دخولها ارض السودان بعد خروجهما من الحبشة كان في اعينهما مثل دخول الجنة . فلما بلغا الروصيرص كان قد مرّ على القافلة ٢١ يوماً لم تذق فيها بقولاً بل اقتصر طعام رجالها على الطيور التي كانوا يصيدونها . وهناك صرفا رجال القافلة بعد ما دفعا اليهم اجورهم فعادوا الى اديس ابابا

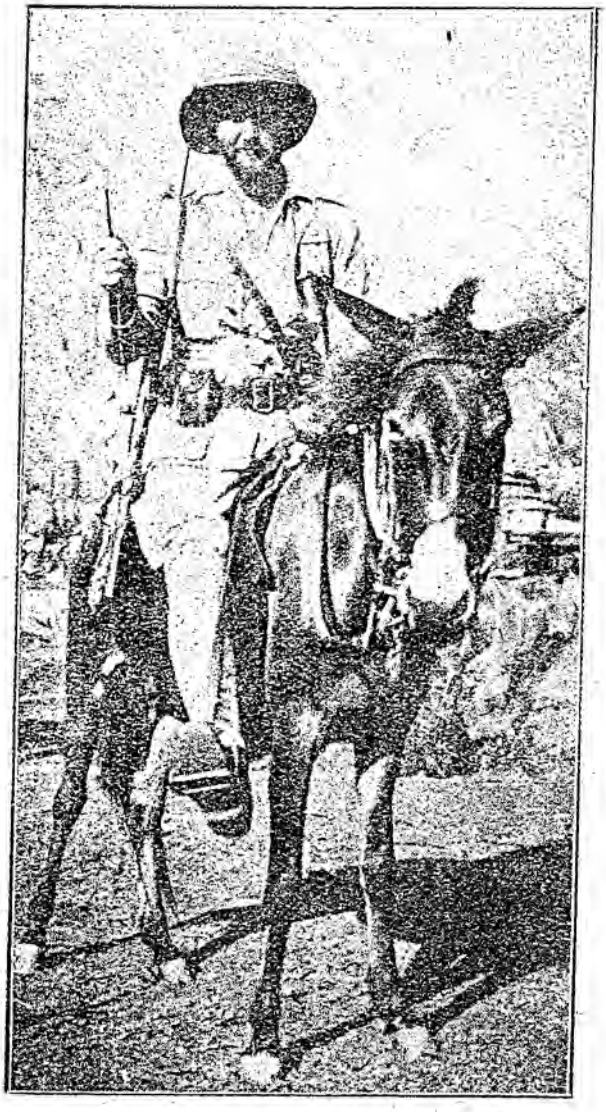

اللفتنت ركاردس الذى طار مع الراس طفري ولى عهد الحبشة فى عدن سنة ١٩٢٢

رؤوس الحبشة بملابسهم الرسمية المزركشة

عبيد قبيلة فطورس وخدمها آتين الى محلة البعثة بهداياهم من طعام وشراب

ومن غريب أمر الحبشة انها على قربها من مراكز الحضارة وانتحال أهلها للمسيحية لا يعرفها السياح أكثر مما يعرفون ابعد البلاد عن مراكز الحضارة كمجاهل أفريقية وأكثر مما يعرفون أعرق الناس في الهمجية والوثنية . فلذلك لا تذكرها كتب الجغرافية الا لماماً لانك اذا خرجت عن اديس ابابا عاصمتها وبعض مدنها المشهورة مثل هرر لا تكاد تعرف عن بلاد الحبشة شيئاً يذكر . ويقول بعض الذين اضطرتهم أشغالهم الى دخولها والسير فى نواحيها المعروفة انها بلاد جبلية معتدلة الهواء كثيرة المياه . ومنها يخرج النيل الازرق أحد فرعي نيل مصر الكبير . فهى من حيث الهواء اشبه البلاد بالشام والمغرب الاقصى

سعاة امبراطورة الحبشة حاملين البريد الرسمى على رؤوس العصى

أما أهلها فيتنكرون للغريب كل تنكر وقد يكون مقامه ببعض انحائها النائية عن العاصمة مصدر خطر عليه . ولا عجب في ذلك ولا غرابة فقد ذاق الحبشان من عنت

رجال البعثة يخوضون نهراً كبيراً فى اثناء سيرهم

مرقص رقص فيه السودان فى الروصيرص استقبالا لرجال البعثة

الرجل الابيض في النصف الثاني من القرن الماضي ما ذاقوا من التباريح ولقوا على يديه الذل والهوان فقاموا قومة رجل واحد يذبون عن حياضهم من الانجليز تارة ومن الايطاليين طوراً فنازوا بابعادهم عنهم واخراجهم من بلادهم . ولايزال صدى كسرة الايطاليين على ايديهم يسمع في اجواء المشرق على بعد العهد به

فلا بدع والحالة هذه اذا كان الاحباش لا يأنسون بقرب الرجل الابيض منهم ويشتبهون في نياته ومقاصده خيفة ان يكرر الماضي وقد قال المثل العامي « من جرب المجرب كان عقله مخرب »

بعض السودانيات اللواتي رقصن احتفالا بالبعثة

نكات عن القواد الانجليز

روت احدى المجلات الانجليزية حكايات عن بعض أعاظم القواد الانجليز وصفتها بانها نكات ولطائف . وقد فهمنا وجه الظرف والنكتة فى البعض ولم نفهمه فى البعض الآخر . منها حكاية عن اللورد اللنبي قالت :

بعد انقضاء الحرب تقدم كثيرون من رجال النشر الى اللورد اللنبي محاولين اقناعه بكتابة كتاب عن فلسطين فلم يفلحوا . وعرض عليه أحدهم بضعة آلاف من الجنيهات فلم يقبل . وأخيراً جاءه أميركي فقال :

«مهما يعرض عليك فأنا أعرض ضعفيه .وفوق ذلك كله فأنا أكتب الكتاب بنفسي ! »

***

وهذه قصة عن اللورد كتشنر :

لما كان اللورد كتشنر يحارب البوير فى جنوب افريقيا جمع بعض الجنود الخارجين من المستشفى أو العائدين من بيوتهم بعد الاجازة وأمرهم بحراسة قافلة كان يريد ارسالها من كرونستاد الى لندلى . وفتش عن ضابط أو صف ضابط يقودهم فلم يجد وأخيراً رأى رجلاً ظنهُ ضابطاً في السوارى وكان حسن البزة والمشية فناداه وأمره بان يتولى قيادة القافلة

فصعق الرجل من هذا الخبر والتفت الى اللورد قائلاً «لست ياسيدي أهلاً لهذه المهمة»

فقال اللورد كيف تجسر على الاعتراف بعدم أهليتك لعمل بسيط مثل هذا . فما هو اسمك وما هي رتبتك وما هى أورطتك

فأجاب الرجل أنا ياسيدى رئيس خياطي فرقة الهوسار العاشرة

***

حكاية أخرى عن كتشنر :

كان اللورد كتشنر يلبس ثوباً عسكرياً بسيطاً من الخاكى في غالب الاحيان بلا شارة أو علامة أو شريطة يستدل منها على رتبته ومقامه والمعارك التى شهدها فلذلك كان كثيرون اذا رأوه لم يعلموا انه ضابط

ركب ذات يوم في بريتوريا مع أركان حربه فالتقى جنديا من المشاة كسيف البال فسأله من أنت وما هو اسم أورطتك ؟ فأجابه. ثم سأله الجندى وأنت من أنت والى أي أورطة تنتمي ؟

فوضى البنـاء

فى القاهرة

سئل استاذ شرقي زار القاهرة حديثاً وهو لم يرها قبلاً ما رأيك فى القاهرة فاجاب « عروس مدن الشرق » . وهـذا الاستاذ نزل فى الـكونتنتال وطوّف فى الاحياء الحديثة المبنية على الطراز الاوربي وزار الآثار القـديمه فلم يقف على حيّ وطني مزدحم ولا على حيّ من الاحياء الحـديثة التي تبنى بيوتها في أطراف المـدينة بلا مراعاة لقواعد الهندسـة والنظام وبلا مراقبة الحـكومة وعنايتها كما يظهر . بل كل ملاّك يبنى فى كل شبر من الارض التى يملـكها ورائدهُ المصلحة والربح الاعظم لا يبالي أخربت الدنيا أم عمرت ولا يهمهُ ما في عملهِ هـذا من تشويه جمال المدينة ومخالفة القواعد الصحية

ولو وقف الامر عند حدّ اهمال الهندسة والنظام وتشويه جمال المدينة لهان ولـكن البيوت تبنى على عجل وباقل ما يكون من النفقة ثم يطالب أصحابها بعـد نجازها باعظم ما يكون من الاجرة . وهذه العجلة وذلك التوفير في النفقة نتيجتهما ولا ريب بيوت ركيكة البناء لا تحتمل الـكثير ولا القليل

فبالامس بني مـنزل ذو أربع طبقات في بعض من أطراف القاهرة . فى الطبقة الاولى لم تبن شرفات أو بلكونات . وفي الثانية بنيت شرفات على جسور من حديد وفي الثالثة كذلك . اما شرفات الطبقة الرابعة فبناها المقاول الفاضل على « الموضة » الجديدة كما قال لي صاحب المنزل غداة الـكارثة التي حدثت هناك

ذلك أن رجلاً وزوجتهُ قصدا الى الطبقة العليا من ذلك المنزل ومعهما ابن شقيق الرجل ليشاهدا « شقة » فيه لمـا يكمل بناؤها . ولم تكد أقدامهم تطأ أرض الشرفة حتى هوت بهم الى أسـفل فماتوا . هوى منها الدرابزين وبقيت هي معلّـقة ولا تزال كذلك الى الآن . والشرفات في سائر الطبقة العليا مبنية مثلها على « الموضة » فلا جسور حـديد ولا دعائم حجر أو خشب تسـند الشرفة بل سمنت ممدود على قضبان حـديد تلوى بالايدي . فلا بدع اذا حدثت هذه الـكارثة

وقد دخلت الحـكومة ولكن بعد خراب البصرة فوقفت أعمال البناء في المنزل ووضعت

حارساً مكان الكارثة وأبقى كل شيء على حاله للتحقيق ورفع أهل القتلى قضية يطالبون فيها بالتعويض المدني من صاحب المنزل والمقاول متضامنين وتعيين أوجه المسئولية

لو أن الحكومة عينت بضعة مهندسين يراقبون أعمال البناء من حيث متانتها ومطابقتها لجمال الفنّ لاحتاطت بذلك لمثل هذه الفاجعة ولحالت دون مطامع الذين لا يهمهم سوى أن تملأ جيوبهم ولو كان في ملئها خراب غيرهم ولمنعت تشويه جمال العاصمة بهذه الفوضى التي لا تراعى فيها قواعد الذوق والفنّ والهندسة والنظام

غبطة العيش

جاء في حديث شريف : من أصبح وأمسى آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها »

وقال زياد لاصحابه . من أغبط الناس عيشاً . قالوا الامير وأصحابه : قال كلا أن لأعواد المنبر لهيبة ولقرع لجام البريد لفزعة ولكن أغبط الناس عيشاً رجل له دار يسكنها وزوجة صالحة يأوي اليها في كفاف من عيش لا يعرفنا ولا نعرفه فان عرفنا وعرفناه أفسدنا آخرته ودنياه »

وقال عبد الاعلى بن حماد : دخلنا على بشر بن منصور وهو في الموت واذا هو في السرور في أمر عظيم. فقلنا له ماهذا السرور. قال سبحان الله أخرج من بين الظالمين والحاسدين والمغتابين والباغين وأقدم على أرحم الراحمين ولا أسر

السيف أصدق أنباء من الكتب

هذا مطلع قصيدة أبي تمام المشهورة وقد قال قبله شاعر قديم ما هو بمعناه :

بني عمّنا لاتذكروا الشعر بيننا ... دفنتم بصحراء الغميم القوافيا
فلسنا كمن كنتم تصيبون سلّةً ... فنقبل عقلاً أو نحكّم قاضيا
ولكن حكم السيف فيكم مسلّطٌ ... فترضى اذا ماأصبح السيف راضيا
فان قلتمُ إنّا ظُلمنا فنكم ... بدأتم ولكنا أسأنا التقاضيا
وقد ساءني ما جرّت الحرب بيننا ... بني عمنا لو كان أمراً مدانيا

كتب الشهر

(١)

— في أوقات الفراغ —

الكتاب « مجموعة رسائل أدبية تاريخية اخلاقية فلسفية بقلم الكاتب الكبير الدكتور محمد بك حسين هيكل رئيس تحرير جريدة السياسة » . هكذا ورد في صدر الكتاب تعريفاً له ولمؤلفه . ولكن الدكتور هيكلاً ليس في حاجة الى التعريف فيعرّف تعريفاً جديّاً . أما أنا فلولا التّقى ولولا تقوّل أهل النحو الذين يقولون لك ان المضاف اليه أعرف من المضاف لاكتفيت في تعريفه بانه « صاحبي » . ولكني أزيد على ذلك فأقول انه كان رئيسي أيام كنت في « السياسة » وأين الرئيس من المرؤوس

بل أكثر من ذلك . قدم الكتاب الى الاستاذ الكبير أحمد بك لطفي السيد مدير الجامعة المصرية حالاً ورئيس تحرير « الجريدة » ومديرها ماضياً . وهو خير من يهدى اليه . ولما كنا كلانا قد عملنا معاً تحت رآسته في الجريدة كان أقلّ ما يجب له على الدكتور ان يهدي الكتاب اليه كما قال في سطور الاهداء وكان أقل ما يجب عليّ ان أقول كلمة فيه على صفحات هذه المجلة

ولكن الكلمة التي أقولها أستعين الله والدكتور عليها وهي قوله « لك الفضل في أن جعلت « الجريدة » ميداناً لما تسيله القلوب والعقول على الاقلام من ثمرات التفكير في أوقات الفراغ» اسمعوا اسمعوا . هذه كلمة جامعة مانعة تغني عن الانبعاق في الكلام فرحم الله عبداً أوجز في كلامه

وقد قال المؤلف عن رسائله هذه ان أكثرها نشر في الصحف والمجلات ولكنه رتبها في الكتاب ترتيباً خاصاً لم يراع فيه تاريخ كتابتها . فجعلها ثلثة كتب الأول في النقد . والثاني في شؤون مصرية . والثالث في خواطر في التاريخ والأدب . وتحت الاول كلام عن اناتول فرانس وقاسم أمين والرئيس ولسن وترجمة أرسطو لاحمد لطفي السيد وغير ذلك

وتحت الثاني كلام عن آثار وادي الملوك وتذكارات الطفولة وحديث شباب وما أشبه

وتحت الثالث فصول في الأدب القومي والقديم والحديث والعرب والحضارة الاسلامية

أما مَخْبر الكتاب فأقل ما يقال فيه ان أفكار الدكتور هيكل ومعانيه والديباجة التي أجريت تلك الافكار والمعاني فيها مطبوعة بطابعه الخاصّ . واذا سمح لنا التجار بان نستعير

بعض مصطلحاتهم قلنا ان « المعركة المسجلة » لتلك الافكار والمعاني هي الابتكار . ويكفي بياناً لمعنى الابتكار هذا ان الابتكار في الشعر انقطع بعد عهد شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الا قليلاً . وما كتابة الدكتور هيكل الا ضربٌ من النثر الشعري أو الشعر المنثور وما الدكتور هيكل الا شاعر

وأما مظهر الكتاب فقد عني ناشره الفاضل الياس افندي انطون الياس صاحب المطبعة العصرية كل العناية بانتقاء ورقه واتقان طبعه حتى خرج كتاباً فائق المخبر والمظهر جميعا

ونحن اذا قلنا لكل أديب عليك بكتاب الدكتور هيكل فاشتره فما نحن الا ناصحون « والنصح أفضل ما يباع ويشترى »

***

(٢)

— نظرية التطور وأصل الانسان —

مؤلف هذا الكتاب هو الكاتب الاجتماعي الاستاذ سلامه موسى الذي يريد بعض الكتاب تحقيره بقولهم انه على مذهب داروين القائل بان الانسان والقرد من أصل واحد . هذا وكلام غير معقول ظاهره ونحن لا نحكم على البواطن ولكن الاستاذ سلامه أصدر كتابه يحاول به اقناعنا بصدق نظريته وقد سماها نظرية التطور وأراد بها نظرية النشوء التي اصطلح عليها أول من اشتغل بشرح هذا المذهب من كتاب العربية . وسموا مذهب داروين بمذهب النشوء والارتقاء ولكن الاستاذ سلامه رأى ان يعدل عن هذه التسمية الى نظرية التطور

ونحن فيما يخصنا لا نحب كلمة التطور اولاً لانها ليست صحيحة لغة وثانياً لانه يراد احلالها محل كلمة صحيحة قديمة . ولا يخفى ان في لفظة « ايفوليوشن » الانجليزية التي ترجمت بالنشوء وبالتطور معنى يتضمنه النشوء ولا يتضمنه التطور وهو نشأة الحياة الاولى أو الوجود الاول قبل حالات التطور

هذا من حيث الصيغة وهي عرض وأما من حيث اللبّ وهو جوهر فقد قال الكاتب في مقدمته الموجزة ان نظرية التطور من النظريات الكبرى التي تسيطر على الثقافة (كذا) الاوربية وتصبغ عقلية المفكرين في جميع انحاء العالم الان » . وقد أراد بالثقافة التثقيف وفي

القاموس الثقافة الحذق والخفة والتثقيف التعليم والتهذيب وهما المرادان . وكنا قد نبهنا على ذلك فى بعض الفصول اللغوية التى نشرناها

ولنعد الى الجوهر ! الكتاب يتضمن ٣١ فصلاً فى شرح هذه النظرية منها تاريخها ونشأة الحياة الاولى وتناسل الحيوان وتنازع البقاء وظهور الانسان ونحن والقردة وأصل اللغة والهيئة الاجتماعية الاولى وأصل الحضارة وأصل الدين وانسان المستقبل

والفصل الذى عقده على أصل الدين فى زعمه ومزاعم الداروينيين وجيز لا يخشى منه على أحد ولا سيما أهل الايمان الذين تأصلت العقائد الدينية في قلوبهم فلا خوف عليهم من ان تستأصلها المجلدات الضخمة فضلاً عن نبذة موجزة مثل هذه التي الكلام فيها على عواهنه !

والكتاب كله على أحسن ما يكون من تنسيق الحجج وترتيبها لتقع موقع القبول والاقناع منا . وأنّى له ذلك وهيهات هيهات بلغاتها الأحدى والخمسين (راجع القاموس)

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنهُ الوعِلُ

وهو على أحسن ما يكون من الطبع وجودة الورق . ولم يقل لنا عن ثمنه ونرجّح انه أرخصه ليغرينا بشرائه . وسنشتريه على كل حال فاننا أمتن يقيناً من أن تؤثر فينا أباطيل داروين التى ينشرها أبطاله كما لم تؤثر فينا تخرصات « أصول الحكم في الاسلام » الذى صدر قبله !

* * *

(٣)

— قاموس الطالب انكليزى عربى —

قاموس جديد قيل فى صدره انه « باللغة العربية الفصحى لطلبة اللغة الانكليزية وضعه الفريد هندية وضبطه ونقحه سقراط اسبيرو بك أستاذ بجامعة جنيف ومساعد رئيس تحرير جريدة الاجبشن مايل سابقاً »

أهدى الينا حضرة ضابطه ومنقحه نسخة منه وبالطبع يريدنا على ان نقول كلمتنا فيه . وهو زميل لنا أولاً وصديق ثانياً ولكنه بوصف كونه مساعداً لرئيس تحرير جريدة انجليزية سابقاً وكونه ناقداً أدبياً لجريدة انجليزية أخرى هي الاجبشن غازت التي تصدر في الانجليزية وهو ينتقد الكتب والآثار الادبية المصرية فيها بروح العدل والانصاف — بهذه الاوصاف

كلها ينتظر منا ان نتجمل بالصفات التى يتجمل بها في نقده . ولا سيما انه كان بيننا مساجلات أدبية قديمة العهد فى الغازت لم يرحمني فيها ولم أرحمه والعدل فوق الرحمة فى الأدب كما ان الرحمة فوق العدل فى القضاء كما يزعمون

تصفحت القاموس أو الجزء الاول منه الخاص بالقسم الانكليزى العربي (ويليه الثاني الخاص بالقسم العربي الانجليزى) فاذا هو على غاية من التدقيق الذى عرف به منقحه وعلى أحسن ما يكون من الترتيب واتقان الطبع

ويمتاز على المعاجم أو القواميس المعروفة من نوعه أولا فى أنه أصغر حجماً بقليل ولذلك كان أسهل تداولاً ومع ذلك ففيه نحو عشرين ألف كلمة أصلية كما جاء في المقدمة . والكلمات الاصلية مطبوعة بحروف كبيرة واضحة ثم يليها الشرح بحروف صغيرة

وقد قال حضرة جامع القاموس في مقدمته ان فى قاموسه غير الكلمات الاصلية ألوفاً من العبارات الاصطلاحية تغنى بحاجة الطالب وتزيد عليها . وقد ميز الفعل عن الاسم فى الالفاظ التى يتشابه الفعل والاسم فيها بكلمة (to) قبل الفعل . ولم يعمد الى الكلمات العامية في الشرح الا في القليل النادر

ونحن نشكر للجامع والمنقح ما بذلا من الجهد في اخراج هذا القاموس النافع ونحث الطلبة على الانتفاع بما فيه ولا نشك في انهم يجدونه خير مساعد لهم بعد اختباره

شيخ يعتذر عن شيبه بكرم أصله !

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي ... فأعرضن عني بالخدود النواضرِ
وكنَّ اذا أبصرنني أو سمعنني ... سعين فرقّعن الكوى بالمحاجرِ
لئن حجبت عني نواظرُ أعينٍ ... رمين بأحداق المها والجآذرِ
فاني من قوم كرام أصولهم ... لاقدامهم صيغت رؤوس المنابرِ
خلائف فى الاسلام فى الشرك قادةٌ ... بهم واليهم فخر كل مفاخرِ

مصر في شهر

اكتوبر ١ — ٣١

شهر اكتوبر

شهر اكتوبر في مصر عامة والقاهرة خاصة شهر انتعاش الحركة التجارية بعد سباتها الطويل صيفاً وشهر افتتاح المدارس وعود الحكومة من مصيفها أو الاستعداد الاخير له وظهور تباشير «موسم» السياح واعتدال الهواء بعد اشتداد هجير الصيف وارتفاع ضجة الاكوزيونات. وربما أفردنا لكل من هذه الموضوعات بحثاً خاصاً به أما الآن فنكتفي بالاشارة الى هذا الموضوع الاخير موضوع الاكوزيونات فنقول انه لولا خوف اتهامنا «بالاعلان» عن هذا المحل دون ذلك وخوف رفع القضايا اذا اتهمنا هذا المحل أو ذاك بان الاكوزيون فيه مفتعل غير حقيقي لعيّنّا بالذات وبالاسم المحال التجارية التي وجدنا بالخبرة صدق أكوزيونها والمحالّ التي وجدنا كذبه. ولكن الجمهور يكفينا بفطنته مؤونة هذه المهمة الشاقة فان سليقته تصيب ولا تخطىء. ومن قدم قال المثل اللاتيني «صوت الشعب هو صوت الآلهة».

الفؤادية

— بحث في الاسماء —

لسنا ممن يعنى بالاسماء شديد عناية. ولكن قد يتفق أحياناً كثيرة ان يحدث الاسم رنة لا يحدثها الفعل. وعند الانجليز عنوان مشهور ترجمته «ماذا في الاسم» اصطلحوا عليه بعد الذي رأوا من شدة علاقة الاسماء بالماجريات ولو ظهر لأول وهلة ألا علاقة جوهرية بين الفئتين

تهتم الحكومة المصرية بانشاء بلدة جديدة. قلوا ان اسمها سيكون بور فؤاد. ولا ندري لِم وقع الاختيار على هذه التسمية. فلِمَ لا تسمى ثغر فؤاد أو مرفأ فؤاد أو ميناء فؤاد. أو لِمَ لا تسمى الفؤادية كالاسماعيلية والابراهيمية والسعيدية والتوفيقية الى آخر ما هناك من النسبة الى رجال الدولة المحمدية العلوية

لِمَ لا تسمى هذه التسمية العربية الخفيفة والحركة القائمة في مصر الآن من مآلها تقريب كل ما هو عربيّ وتبعيد كل ما هو غير عربي بشرط ان يكون فيها السلامة

وقد خطر ببالنا انه لا يبعد ان تكون شركة ترعة السويس وهي الشق الآخر من الاتفاق قد اشترطت أن يكون لها نصف اسم البلدة فسمي النصف الاول « بور » بالفرنسية والثاني « فؤاد » بالعربية كما سميت بورسعيد أولا ثم تغيرت هذه التسمية الى بورتسعيد في الاكثر أو بنط سعيد كما يقول العامة

وعندنا انه اذا سميت البلدة الجديدة بور فؤاد وقضي الامر فان هذا الاسم سيتحول مع الزمان الى بورت فؤاد كبورت سعيد كأن اللغة الانجليزية تأبى ان تستأثر لغة غيرها باسماء ثغور البلدان

فعسى أن يعاد النظر في هذه التسمية فان «الفؤادية» مثلاً أخف وقعاً على الأذن وأكثر تمشياً مع روح العصر هنا من بور فؤاد

شارع الملكة نازلى

وهذه نبذة أخرى في الاسماء . ولو ان تغيير اسم شارع عباس الى شارع الملكة نازلي كان أول عمل عمله مجلس تنظيم القاهرة في هذا الشارع ما اعرنا عمله هذا شأناً كبيراً بناء على قلة عنايتنا بالاسماء كما قلنا . ولكن مجلس تنظيم القاهرة قضى فصل الصيف الماضي كله يصلح من شارع عباس حتى خرج شارعا يضاهي أحسن الشوارع فى أحسن العواصم الاوربية فتغييره اسمه من شارع عباس الى شارع الملكة نازلى ترقية فى الاسم تناسب ترقيته في الفعل فهنئه

ونحن ان جاز لنا ان نبدى رأياً في الخط قلنا ان خط اليفطات التي علقت فى الشارع من السماجة بحيث لا تناسب تلك الترقية

محافظ الاسكندرية

لمحافظ الاسكندرية سعادة حسين باشا صبري راتب بوصف كونه محافظ الاسكندرية ولما كان بحكم منصبه هذا رئيساً لمجلسها البلدى شاء بعض الاعضاء ان ينيلوه راتباً على راتب فلم يشأ هو . وهي قدوة أقل ما توصف به فريدة شريفة لانك لا تجد واحداً فى الالف يحرم نفسه مائة جنيه فى الشهر لينفع بها الغير

طلعت بك حرب

كثرت حفلات التكريم فى هذا البلد حتى كرم كل أحد وكل شيء فلم يبق أحد ولا شيء بلا تكريم . وبات المكرمون الآن حيارى لا يدرون من وما يكرمون . وموقفهم هذا يذكرنا ما روى عن أحد حواريي السيد المسيح من انه زار اثينا في عهد وثنيتها

فرأى فيها صنما ووثناً وتمثالا لما لا يحصى من الآلهة باسمائها ثم وقف أخيراً على صنم كتب تحته لا له مجهول . فكأن أهل أثينا خافوا ان يكونوا قد تركوا الهاً بلا وثن فيعتب عليهم أو ينزل غضبه بهم فصنعوا له تمثالاً بلا اسم

ولكن شتان بين تكريم وتكريم ولست أحسبني مبالغاً في القول ان في الاحتفال بطلعت بك حرب مدير بنك مصر تشريفاً وتكريماً للمحتفلين أنفسهم أكثر مما فيه من التشريف والتكريم للمحتفل به . ذلك بأن هذا الاحتفال دليل على معرفة اقدار الرجال وهذه المعرفة تلى الشعور بتلك الاقدار وهذا الشعور لا يصدر الا عن قلب رقيق حساس شريف . وان بلداً يكثر فيه عارفو الرجال وقادروهم حق قدرهم لهو بلد جرى في حلبة التقدم وليس له عنه متأخر

وان كان عارفو اقدار الرجال قد تأخروا الى الآن في تكريم طلعت بك فما تأخرهم هذا الا من قبيل المثل العامي القائل « الفضلة للفضيل »

واصدق وصف ينطبق على طلعت بك انه رجل « حيادي » لا ينتمي الى حزب معين من الاحزاب وهذا ما تطلبه الفطنة في مركزه المالي الكبير العام . فالسعدي يحتاج اليه قبل العدلي والعدلي قبل الوطني والوطني قبل اليحيوي

الجامعة المصرية

وربما كان اظهر مظاهر هذه السنة وهذا الشهر في مصر افتتاح الجامعة المصرية افتتاحياً فعلياً ان لم يكن اسمياً أو رسمياً كما يسمونه . ولو فتشت مصر كلها ما وجدت رجلا أليق من مديرها الحالي بان يسند اليه هذا المنصب . وليس كلامي هذا من قبيل التملق والزلفى كما قد يبدو الى بعض الاذهان . فقد خدمت برآسة احمد بك لطفي السيد سبع سنوات في « الجريدة » وانا أعرفه كما يعرفه أكثر الناس اتصالا به . ولما عين مديراً لدار الكتب بعثت اليه اهنئه بذلك المنصب . وأقول اني ارجو أن ابشره بالوزارة قريباً فرد علي بكلام فحواه انه بعد ما وُضع (بالبناء للمجهول) أساس الحكم النيابي الدستوري في مصر (وكان هو في مقدمة الساعين الى ذلك ان لم يكن أولهم فكراً وقولا وعملا كما هو معروف) فانه بات أميل الآن الى عمل في جو فلسفي هادىء تقل فيه العواصف والزوابع كالمنصب الذي عين فيه . وقد أصدر وهو في ذلك المنصب كتاب علم الاخلاق لارسطو وذكرته هذه المجلة في حينه وهو كتاب لائق بأخلاقه وفطرته

ولا ريب ان منصبه الخالي الذى رقى اليه هو أقرب الى المثل الذي يطلبه من سائر المناصب . فليس ثمة عمل أكثر تبعة وأعظم اثراً وافضل عائدة واقل صخباً وجلبة من عمل مدير جامعة كبيرة كالجامعة المصرية . ولسنا نعلم أي كتاب فلسفي يفاجئنا به في منصبه الجديد الهادىء

اسماعيل صدقي باشا

عاد معالي اسماعيل صدقي باشا وزير الداخلية السابق من أوربا فلقي احتفالا حافلا دل على مكانته من قلوب امته . وصدقي باشا أحد الموظفين الاكفاء الذين تتبع كاتب هذه السطور ترقيهم فى المناصب الدولية منذ كان في مجلس بلدية الاسكندرية في أوائل هذا القرن الى أن نقل الى الداخلية وتقلب فى مناصبها الكبيرة حتى منصب الوزارة . وقد كان في الداخلية موظف كبير معروف بالكفاءة وطيبة القلب والصدق توفي الى رحمة الله منذ عهد قريب . سألته ذات يوم عن صدقي باشا فقال لي انه في رأيه ورأي جميع العارفين أقدر موظفي الحكومة المصرية جميعاً لا يستثنى واحد منهم

والمجلة ان تأسف لشيء فلخروج صدقي باشا من سلك الوزارة . ولكن يهوّن عليها خروجهُ محافظة على مبدإ . وليس في البلد رجل ذو فطنة الاّ ويرجو عوده اليها عاجلا للانتفاع بملكاته النادرة . وجدير برجل يحرص ذلك الحرص على المبادىء ويبعد ذلك البعد عن الانانية أن يكون جزاؤه من جنس عمله

حافظ بك عفيفي

أشرنا في مقالة « وفيات الاطفال » التى نشرناها في الجزء الماضي جزء اكتوبر الى الخطاب الشائق الذى ألقاه العالم الفاضل الدكتور احمد بك عفيفي على مؤتمر رعاية الاطفال في جنيف . أما وقد عاد حضرته من اوربا والعود أحمد فبتنا نرقب ظهور تقريره في نتيجة مباحث المؤتمر بذاهب الصبر . ونعد قراءنا بان ننشر لهم نبذاً منه لعظم شأن موضوعه . وهل هناك شيء أعظم شأناً من الطفل ومن البحث فيما يحفظ صحته ويبعد عنه عوادي المرض وينشئهُ ولداً صحيح الجسم والعقل ثم رجلا من رجال الاستقبال

حرق دمشق

البوشية في سوريا

ليست دمشق جزءاً من جسم القاهرة فيحسب حرقها من أنبائنا المحلية وندرجهُ في حوادث « مصر فى شهر » ولكنها جزء من روحها ومعناها . والذى أجاز لابي الاشبال أن يقول منذ نصف قرن من الزمان ان مصر جزءٌ من أوربا يجيز لنا أن نقول الآن ان الشام

جزءٌ من مصر وان القطرين واحد وتكون حجتنا أسدّ وأنصع

وبالامس هاجت الشبيبة الشامية وماجت لحوادث مصر السياسية وأعربت عن عطفها وتوجهها برسائلها التلغرافية واجتماعاتها ومظاهراتها ـ ولا نقول هذا على سبيل المنّ ـ فلا عجب اذا توجعت مصر لحوادث الشام البربرية التي يأتيها الغريب بين صحاب البلاد ولا عجب أن تردّ مصر الصدى

يعترف كاتب هذه السطور بانه لم يكن يوجع كثيراً ولا قليلاً لفظائع الحزب العسكري الالماني في البلجيك وفرنسا وبخاصة فرنسا ـ لا عن مرض في أعصابه جعله ضعيف الاحساس ولا عن غلاظة في كبده أو ثخانة في جلده ـ بل لانه كان يوقن بان الحزب العسكري الفرنسي يفعل فعلة الحزب العسكري الالماني في مثل مركزه وأحواله . وأنا آسف لظهور صدق قولي على حساب اولئك القوم المستضعفين الذين يدفعون ذلك الثمن الغالي

تحرق مكتبة لوفان وتخرب كنيسة ريمس فيقال ان الالمانيين « بوش » وتخرب عاصمة الاموريين على رؤوس أهلها من الرجال والنساء والاطفال فيقال « فيف لافرانس »

تخرب القرى الامنة مأخوذة بالشبهة كقرية داريا لان جنديين فرنسويين وجدا مقتولين قربها ثم يظهر أن القتلة من قرية أخرى فتحرق هذه القرية الاخرى ويطلب من اطلال الاولى « الباردون » على الطريقة البارزية

تفرض غرامات الذهب على البلاد وتجمع منها بذلك الجشع المأنور ولكن هذا لن يملأ خزائن بنك فرنسا ولن يزيد قيمة الليرة السورية الفرنسوية على قيمتها الحالية وهي أقل من ثلثة شلينات ولن يمنع هبوط الفرنك الفرنسوي ولحاقه باخيه المارك

الحقّ أن المروءة في الحرب تكاد تكون خلة انجلوسكسونية . يصارعك الانجليزي أو الاميركي بجميع قوته مراعياً شروط المصارعة بدقة حتى اذا صرعك انكبّ عليك جابراً لك مقيلاً لعثرتك مضمداً لجرحك ان كان بك جرح . وأما غيره فلا

كان المرحوم دانيال بلس الرئيس الاول للمدرسة الكلية في بيروت يلقي دروساً في الاخلاق والدين أو ما كان يسمى بالفلسفة الادبية . وكان من ذابه المقابلة بين الاخلاق الانجليزية والفرنسوية بهذا المثل يكرره كل سنة . كان يقول : تسأل الانجليزي شلناً فيلقي اليك الشلين بغضب ونزق طبع ويقول خذ الشلين فتأخذه وتنتفع به . وأما الفرنسوي فيناولك السكين بدل الشلين برفق ولين من غير أن تسأله أو تتعرض له

علق السوريون آمالاً ضخاماً بالجنرال

سراي حسبان أنه اشترا كيّ فى طبعه وأن من كان مثله كان أقرب الى الحرية والعطف والالتجاء الى أنس المعاملة ولينها بدل الغطرسة العسكرية . وفاتهم أمر واحد وهو أن الدين والعقل الكبيرها الشكيمة الصحيحة للطغيان العسكري دون غيرها . فالثورة الدرزية في حاجة الى رجل ذى دين كبير العقل مثل المارشال فوش. ولكنهم يرون على ما يظهر ان هذا المنصب صغير عليه فيوكلون بحل المسألة رجلا مثل سراي ويعطون القوس غير باريها

وقد يستطيع هذا اخماد الثورة فى آخر الامر بعد عناء كثير ولكنهم كانوا يوفرون هذا كله ويريحون أنفسهم ويريحون غيرهم لو عمدوا الى غير « المحسوبية » فى اختيار الرجال للمناصب ذات التبعة الكبرى

المعتمد البريطاني الجديد

وصل القاهرة في أواخر اكتوبر المعتمد البريطاني الجديد اللورد جورج لويد . ومن غرائب تأثير هذا الاسم فيّ انيلا أستطيع ايراده صحيحاً لاول وهلة حتى أذكر اسم المستر لويد جورج وهذا أحفظه تماماً فاعرف أن اسم المعتمد البريطاني الجديد هو عكسه . لكن المستر لويد جورج بات نسياً منسياً فى هذه الايام الاخيرة ولعله يتحفز لوثبة مثل وثباته المأثورة عنه

وقد أذكرني تشابه هذين الاسمين وعكس ترتيبهما ما قال المرحوم اديب اسحق في بدء مقال ردّ فيه على سائح فرنسوي مشهور زار سوريا فى زمانه وطعن فيها قال « غبريال شارم أو شارم غبريال كما شئت وكما يقلبك الهوى »

ونحن نقول هنا انه سواء كان المندوب السامى الذى طلع علينا بالامس جورج لويد أو لويد جورج فقد جاء لتأييد سياسة دولته الامبراطورية التي يصفها الانجليز بالاستمرار وعدم التغير على كثرة تقلب السياسة الداخلية وتغيرها فى كل آونة . وأمامه في تأييد تلك السياسة واحد من أمرين فاما اللين واما الشدة . وهذا لا يهم كثيراً في نجاح مهمته أو فشلها وانما الذى يهم ما تكون عليه أعصاب الامة عند تنفيذ خطته فان كانت مخدرة قيل له ما يشتهي وان كانت متوترة قيل فشل. وعلى نجاح مهمته يتوقف ادراج اسمه في « كشف » الرجال الذين ينعم عليهم بلقب « بروقنصل » مثل كرزون وكرومر وملنر ورودس من المحدثين ولورد كليف من الاقدمين . وهو لقب غير رسميّ يحسبه الانجليز من أعظم ألقابهم ويفضلونه على أرفع رتبهم الرسمية

توت عنخ آمون

رواية تاريخية حدثت وقائعها المدهشة في عهد الملك توت عنخ آمون

(خلاصة ماورد فى الفصول السابقة ان الملك اخناتون من ملوك الدولة الثامنة عشرة المصرية مات فخلفه صهره توت عنخ آمون . وكان لاخناتون قائد يدعى فاروس تآمر مع بعض اصدقائه على قتل الملك الجديد . غير ان ضابطا تحت يده اسمه راميس درى بتلك المؤامرة فذهب هو والملك وباغتا المتآمرين فى مجتمعهم ثم تمكنا من الفرار من غير أن يعرفا احدا منهم . ولما عادا رأى راميس ان يطلع رئيسه فاروس على تلك المؤامرة ولكنه لم يذكر له ان الملك كان معه فرأى فاروس ان راميس قد اطلع على سر المؤامرة فارسله فى مهمة الى معبد طيبة واتفق مع كاهن المعبد على استيثاء راميس سجينا هناك. فقضى راميس فى سجنه ليلة ويوما وهو يحاول ان ينقر جدار السجن بنصل حربته الى أن تم له ذلك . وفى صباح اليوم التالى ذهب الملك توت عنخ آمون الى المعبد فى موكب حافل ليفك اختام قدس الاقداس حسب فرائض القوم . وقبل أن يفعل ذلك سقطت أمامه حربة واستقرت فى مصراع باب قدس الاقداس . وكان بطرف الحربة قطعة من البردى فانتزعها الملك واذا هى رسالة من راميس يحذره بها من لمس الاختام . فلما علم الكاهن ساتيرى ان حيلته قد انكشفت توارى عن الابصار مستعيناً بالضجة التى حدثت بين القوم . فعدل الملك عن مواصلة الحفلة . وبعد ذلك باسبوع خرج بمركبة للنزهة فى احدى ضواحى طيبة فالتقى راكبا يسير بمركبته فى طريق وعر وجواداه يتهيبان الارض نهبا حتى انقلبت المركبة وأصيب الراكب بجروح بليغة . فهرع توت عنخ آمون لمساعدته فعلم منه انه فتى فقير الحال قد استأجر تلك المركبة ليدخل سباق المركبات المقبل طمعا بنيل الجائزة . فرق له الملك واتفق معه على أن يدخل السباق متنكرا باسمه . وفى يوم السباق جاء متنكرا ولكن قائد جيشه فاروس عرفه فعزم ان يقتله فى فرصة ملائمة ومع كل ما بذله من السعى ليقذف الملك ومركبته على احدور الوادى لم يفلح فى ذلك فرماه بحربته على رجاء ان يصيب منه مقتلا . ولكنه بدلا من أن يصيبه أصاب عنان حواديه فذعر الجوادان واندفعا الى الجرف فسقطا بالمركبة والملك الى الوادى . وانتهى السباق فى ذلك اليوم وفاروس هو المجلى فيه الا ان الاميرة ميريس — وكانت قد علمت بوجود الملك بين المتسابقين — ذهبت هى وراميس للبحث عنه فوجداه فى احدور الوادي يمشى متثاقلا فعادا به وهو يقص عليهما ماوقع له مع فاروس وكيف سعى لاهلاكه . وفى تلك الليلة عينها أصدر امراً بعزل فاروس وتعيين راميس مكانه ثم ارسل راميس ليلقى القبض عليه . وكان فاروس قد ذهب الى أحد السحرة ليستطلعه ماهو مضمر له فى اثناء الاقدار . فتبعه راميس بشرذمة من الجنود الى كهف الساحر ولكن فاروس تمكن من الفرار الى وادى الملوك حيث التقى بعض لصوص المقابر فتربص لهم حتى أخذوا يتضاربون بالعصى والمدى . وأصيب أحدهم بجرح بليغ قضى به نحبه فترك رفاقه وهربوا فخرج فاروس من مكمنه ونزع ثياب القتيل ولبسها وتمكن فاروس بتلك الحيلة من الفرار بعد أن استولى على خنفساء من الخنافس المقدسة التى كان المصريون يدفنونها مع جثث ملوكهم وقد نثر عليها بين الاسلاب.

وهرب الى سوريا حيث انضم الى رفيقه ساتيرى واخذا يحرضان السوريين على شق عصا الطاعة. فثار القوم ولكن الدائرة دارت عليهم فعاد فاروس الى مصر واتخذ مغاور وادى الملوك مقراً له ولرجاله . وبينما هو هناك أقبل توت عنخ آمون وراميس ليعيدوا الخنفساء الى قبر توتميس (.وقد كانت مسروقة منه) وما كادا يدخلان القبر حتى أوصده فاروس عليهما ثم خرج برجله فى الظلام وزحف على طيبة .

وكان فاروس يعلم ان مصيره معلق على نجاحه بالاستيلاء على القصر عنوة . فاذا فشل فقد فشلت خطته . لذلك لم يكن له بد من المجازفة بكل قوته فى سبيل الانتصار . وقد كان يعلم انه اذا انقضى الليل ورجاله لم يدخلوا القصر فقد ذهبت آماله أدراج الرياح لأن جنود المصريين سيتألبون عليه وعلى رجاله ويستاقونهم أمامهم كما تستاق الريح العصافة .

وفى الواقع ان فاروس كان من الناس الذين لا تهن لهم عزيمة ولا يجد القنوط الى قلوبهم سبيلا . وكان يعتمد في هذه المرة كما قلنا على عامل المفاجأة ويرجو أن يضرب أعداءه ضربة قاضية . وزاده تصميماً على الاستيلاء على قصر الملك انه كان يعلم مافيه من كنوز فاخرة فاذا تمكن من دخوله فانه يتحصن فيه ويدافع عنه الى أن يعترف أعداؤه بفشلهم . ثم ان هلاك الملك راميس كان بلا شك من أقوى العوامل التي كان يعتمد عليها لأنه اذا علم المصريون بهلاك ملكهم خارت عزائمهم واستسلموا الى الاقدار

وليس ذلك فقط بل ان استيلاءه على قصر الملك يلقي الهلع في قلوب المصريين أجمع . والقوم كما تعلم يؤمنون بالخرافات فلا شك انهم ينسبون سقوط القصر في يد فاروس الى غضب الالهة على الملك .

واشتد القتال حول أسوار القصر وعلى الباب الكبير . وكان جنود الحرس يدافعون عنه دفاع الأبطال وفاروس واقف فى رأس رجاله ينفخ فيهم روح الحماسة ويستنهض هممهم ويصيح بهم أن أعملوا الفؤوس في هذا الباب لتحطموه ! وكانت تلك أهول دقائق الكفاح حول القصر

الفصل الاربعون

الجهاد فى سبيل السلطة

وظل رجال فاروس يتدفقون على الاسوار تدفق الامواج وهم يستثيرون بالمشاعل ويعملون الفؤوس في الباب بكل ما فيهم من قوة . واشتد الكفاح اشتداداً لا مثيل له حتى تمكن الثائرون أخيراً من تحطيم الباب ودخول القصر . ثم أقام فاروس بضعة من رجاله حراساً على الباب وصعد الدرجات العريضة المؤدية الى داخل القصر . فاستقبله على قمتها وزير فرعون وهو رجل أبيض اللمة . فقال لفاروس ما هذه الخيانة أيها الرجل وكيف تستبيح حرمة هذا القصر المقدس ولا تخشى أن تهيج غضب الآله ؟ وأي حساب تؤدى للملك على عملك هذا؟

فقهقه فاروس قهقهة شيطانية وقال له : أما توت عنخ آمون فقد هلك فاصبحتم الآن عبيداً لملك جديد . وأما الحساب فسننظر فيه فيما بعد . والآن خير لك أن لا تعترضنا

فصاح الرجل : ويحك أيها الخائن . ان كنت قد لوثت يدك بدماء الملك فسيلعنك آمون الى الابد وينتقم منك ومن رجالك انتقاماً هائلاً

فاستشاط فاروس غضباً وصاح بصوت متهدج : تنح عن الطريق ودع رجالي يدخلون والا فانهم يقطعونك ارباً ارباً . انهم لا يحترمون شعرك الابيض قلامة ظفر

فاجابه الرجل : انى لا أدعكم تدخلون مادام في عرق ينبض . انكم خونة تستحقون الموت !

فضاق فاروس به ذرعا وأدرك أن كل دقيقة من تلك الدقائق بمنزلة يوم كامل لانه اذا طلع النهار ولم يستول على القصر فستيقظ المدينة كلها وتصل جيوش فرعون فلا يستطيع مقاومتها . لذلك شرع حربته ونادى رجاله أن يتبعوه . على أن الوزير لم يكترث له ولا تحول عن طريقه .

وفى تلك اللحظة شوهد شبح فتاة جميلة وقد انسلت حتى وصلت الى حيث كان فاروس واقفاً أمام الوزير وجهاً لوجه. فقالت لفاروس بلهجة التوبيخ : قبحاً لك من رجل. أتقتل رجلاً وقوراً لغير ذنب جناه سوى أنه يقوم بواجبه بأمانة ؟

فحدق فاروس الى الفتاة واذا هي الاميرة ميريس وكان يعرفها معرفة جيدة . فقال لها : اذا كنت تريدين انقاذ حياة الرجل فقولى له أن لا يمنعنى أنا ورجالي من دخول مقاصير الملك والا فان رجالي سيقطعونه أرباً أرباً

وهجم رجاله اذ ذاك على الرجل وجرفوه أمامهم كما تجرف الرياح العصافة . فناداهم فاروس قائلا : اياكم وأهل القصر فلا تمسوا أحداً منهم باذىً ! وكان لفاروس في ذلك غاية تدل على دهاء وهي أن يستميل أهل القصر اليه بدفاعه عنهم لعلهم يكونون له عوناً متى أقبل جيش الملك وحاول اقتحام القصر عنوة

وأطاع رجاله الامر فلم يمسوا أحداً بسوء . ثم هجموا على مقاصير الملك وقد أدهشهم ما رأوه فيها من كنوز وتحف . وثارت فيهم المطامع إلا أن فاروس خشى ان هو ترك لهم الحبل على الغارب أن يعملوا فى القصر يد النهب والسلب . فنهاهم عن أن يمدوا يدهم الى شيء وقال لهم : ان الوقت لم يحن بعد لاقتسام الاسلاب والغنائم اذ لا بد لنا قبل كل شيء من تحصين القصر لئلا يهاجمنا جيش الملك ويقضي علينا

ثم أمرهم أن يتفرقوا فى جوانب القصر و «أقبيته» ويجمعوا الخشب والاثقال العظيمة ليضعوها وراء الابواب ويسدوا كل منفذ استعداداً للدفاع . ولما كانت المؤونة متوافرة لم يكن فاروس يخشى الحصار . وعليه تفرق رجاله في جميع الجوانب وأخذوا يعملون على تحصين القصر بهمة لاتعرف الكلل

الفصل الحادي والاربعون

النجاة من القبر

تركنا الملك ورامبس والكاهن ينقرون سقف قبر ثوثميس ليتمكنوا من النجاة . وكانوا قد أحدثوا فيه ثغرة عند طلوع الفجر فاخذوا يعملون على توسيعها حتى صار من الممكن أن يمروا منها . وكان أول من خرج هو الملك وتبعه رامبس . وبقى الكاهن يصرخ وينتحب ويلتمس من الملك أن لايتركه يموت هنالك فيحرم السعادة الاخروية . ذلك لان المصريين القدماء كانوا يعتقدون أن من مات منهم ولم يحتفل أحد بتحنيطه ودفنه فقد هلك هلاكا أبدياً . لذلك صار يبكى ويرتجف وينادي الملك من داخل القبر متضرعاً اليه أن لا يميته تلك الميتة الشنيعة فلم يستطع الملك بسبب حنانه أن يدفن الرجل حياً فأوعز الى رامبس أن يساعده على الخروج فمد اليه هذا يده وأنقذه . ثم عمد الجميع الى الثغرة ليسدوها لان الملك خشى ان هم تركوا قبر ثوثميس على تلك الحالة أن يسطو عليه اللصوص مرة أخرى ويأخذوا منه ما قد بقى .

ولما أصبح الجميع فى الهواء الطلق أخذوا يجيلون أبصارهم حولهم لعلهم يرون أحداً هنالك فلم يجدوا أثراً لمخلوق . فقال رامبس للملك : يجدر بنا أن نكون على حذر لئلا نؤخذ على غرة فان لفاروس رجالا فى هذا المكان يقيمون بالكهوف والمغاور ولا يحجمون عن الفتك بنا الا اذا علموا بوجودنا

وكان الكاهن يجيل أبصاره فى الأفق ويلتفت يمنة ويسرة . فبدت له خيانة فاروس بصورة واضحة فبصق على الارض مشمئزاً وقال متمتماً : تباً له من خائن منافق : انه لم يحجم عن اهلاكي فى سبيل تحقيق مطامعه

وسمع الملك تمتمته ورآه كثير التلفت يمنة ويسرة . فقال له : مابالك أيها الرجل وما الذي تقوله لنفسك !

فقال : لتبارك الآلهة سيدى الملك ان . . . . .

فقاطعه الملك قائلا : لا تدنس اسم الآلهة بشفتيك اذ لا صلة بينك وبينها .

فوجم الكاهن هنيهة وأطرق برأسه الى الارض . ومرت بخاطره فى تلك اللحظة افكار كثيرة متناقضة متضاربة . فخيل اليه ان فاروس قد زحف بجيشه على طيبة ولا بد ان يكون قد استولى عليها . وفى هذه الحالة أيكون من الحكمة ان يبوح بمقاصده للملك فيعادى فاروس ذلك الرجل الشرير ؟ واذا باح بمقاصد فاروس للملك فهل يعتبر الملك ذلك منه دليلا على التوبة ؟ ومن الجهة الاخرى ـ أليس من المحتمل أن يكون فاروس قد فشل فى محاولته الاستيلاء على طيبة وعلى قصر الملك ؟

مرت تلك الاسئلة ببال والملك واقف ينتظر منه الجواب عن السؤال الذى وجهه اليه . ورأى انه لا مناص له من الاعتراف بكل ما يعلمه عن خطط فاروس . فقال للملك : لقد وعدت أمس سيدي الملك بان أبوح له بكل ما أعلمه . والذي أعلمه هو أن فاروس جمع حوله طائفة من اللصوص والمجرمين وقطاع الطرق ونزل بهم في كهوف هذا الوادي ومغاوره متحيناً الفرصة للزحف على طيبة . وكان عدد رجاله كبيراً وكلهم من الجبابرة الاقوياء الاجسام . وقد أسرف لهم بالوعود الخلابة وعلمهم بالاستيلاء على كنوز طيبة وأموالها . والذى يبدو لى الآن أنه قد زحف بهم على طيبة وربما كانت المدينة الآن في قبضة يده

فلما سمع الملك ذلك وقف هنيهة صامتاً ثم قال : ان هذه الاخبار على أعظم ما يكون من الشأن . ومع أنى لا أرتاب فى نتيجة مجازفة فاروس هذه فانى أخشى على حياة جنودي ورجالي المخلصين ان يهاجمهم فاروس على حين غرة .

فقال ساتيرى : لقد كانت خطة فاروس ترمى الى الاستيلاء على القصر عنوةً . وبعد الاستيلاء عليه والتحصين فيه يرسل جنوده قطاع الطرق لارهاب الناس واخضاعهم أو لاستمالتهم اليه بكل الطرق الممكنة .

فامتقع وجه الملك وقال متمتماً : اذا كان فاروس قد زحف برجاله ليلا فلن يجد مقاومة كبيرة لان معظم الجنود نائمون فى ثكناتهم . وبذلك يتيسر له الاستيلاء على القصر .

وزاد في مخاوف الملك أن الاميرة ميريس كانت في القصر فخيل اليه أنها قد وقعت هي وجميع من معها في أسر ذلك الخائن . واذ مرت بخاطره هذه الفكرة غضب وقطب حاجبيه وقال : وحق الآله اذا جرؤ ذلك الخائن أن يمس شعرة من رأس ميريس فسانتقم منه نقمة بلا

رحمة . ثم التفت الى راميس وقال له : لنسر الى طيبة يا راميس فان الشعب في أشد الحاجة الينا

قال ذلك ومشى فمشى معه قائده والكاهن ساتيري الذي رأى من الحكمة أن ينحاز منذ تلك الساعة الى حزب الملك .

الفصل الثاني والاربعون

الثائرون في القصر

سار القوم في أحد مخاصر الطرق فبلغوا أطراف طيبة بعد قليل من الزمن . وكان ساتيرى يسير في المؤخرة وهو يلهث من شدة التعب وقد مرّ على فراره من طيبة زمن طويل . وكان يخشى ان رآه أهالى المدينة ان يقوموا عليه ويقتلوه ولذلك كان يسير وهو متزعج الخاطر يضطرب لأقل حركة أو بادرة .

ودخل القوم أحد شوارع المدينة وهو زقاق متعرج ينتهي الى قلب طيبة . وما كادوا يتوسطون الزقاق حتى تحققت مخاوفهم اذ أبصروا الرجال والنساء والاطفال قد هبوا منذعورين من رقادهم بسبب الهياج المنتشر فى المدينة . وسمع الملك أحد المارة يقول لآخر : ان القصر لايزال في قبضة الثائرين وقد حاول الحرس الملكى اخراجهم منه وقضى الليل كله في الكر والهجوم فلم ينجح . لان الثائرين تحصنوا وراء أسوار القصر وهم يرشقون رجال الحرس بسيل من النبال

فقال الآخر : لاشك ان الآلهة غاضبة علينا فقد هلك فرعون ووقعنا فى قبضة أعدائنا وصرنا لانستطيع ان نميز بين العدو والصديق ولا نعلم من أين تكال لنا الضربات

فلما سمع توت عنخ آمون ذلك همّ باعلان نفسه لدينك المتحادثين ليعلمهما ان الملك لم يهلك ولكن راميس اعترضه بسرعة البرق الخاطف وقال له همساً : حذار ان تنطق بكلمة أو تعلن ذاتك فانك تعرض نفسك وتعرضنا معك للهلاك لان أعداءنا منتشرون فى كل بقعة

فقال توت عنخ آمون : ولكني لست جباناً حتى أسكت عن كل ماأسمعه من الاراجيف فى أزقة عاصمتى

فقال راميس : اننا فى موقفنا هذا مجردون من الجند والاعوان ولا نستطيع ان ندافع عن أنفسنا اذا هاجمنا الاعداء . وليذكر سيدى الملك ان حياته هي لشعبه ومملكته فليس له

ان يجازف بها . عفوك يا سيدى ان كنت أخاطبك بمثل هذه الصراحة ولكن حياتك أثمن من أن تجازف بها على هذا الوجه . فلنسرع الى القصر ولننضم الى الحرس فنبعث فيهم روح الحماسة ونثبت لهم اننا لا نزال أحياء

فقال الملك وقد انقشعت عن وجهه غمامة الانزعاج : أصبت يارامبس فلنسرع

وسار الثلاثة في ذلك الزقاق المتعرج لا ينبسون ببنت شفة . وكان رامبس يمشى وهو واضع يده على مقبض حربته كأنه يتوقع خطراً داهماً ونظراً الى الظلام المنتشر على المدينة تمكنوا من الاستتار عن الانظار

ورأوا الشوارع مقفرة والساحات العمومية مهجورة ومنافذ بعض المنازل مكسرة وذلك دليل على عبث الثائرين بتلك المدينة الزاهرة .

وظل الثلاثة سائرين حتى أشرفوا على القصر الملكي فوقف توت عنخ آمون هنيهة وقد ثارت عواطفه فى داخله لان ذلك الصرح الباذخ الذى كان مقره بالأمس قد أصبح اليوم فى قبضة أعدائه . وتفرس فى باحة القصر قليلاً فرأى اثاراً تقشعر لها الأبدان لان أشلاء جنود الحرس كانت مبثوثة امام القصر وقد سقطت بحراب الاعداء . وبقى جانب من أولئك الشجعان فاجتمعوا في الساحة العامة استعداداً للكر على القصر .فما كادت عين توت عنخ آمون تلمحهم في نور المشاعل حتى أسرع اليهم وصاح بهم : اننا مليكم توت عنخ آمون قد عدت لانقذكم من ظلم الاعداء .

وما كاد يفرغ من عبارته حتى وقف أولئك الشجعان رافعين حرابهم فوق رؤوسهم وهاتفين بالتحية المألوفة فى ذلك الزمن وهي قولهم : ليحي فرعون الى الأبد ! وملأ دوي هتافهم جميع الانحاء حتى كادت الارض تميد تحت أقدامهم وقال توت عنخ آمون لنفسه : عما قليل يعلم ذلك الخائن عظم خيانته وان احتياله على هلاكي لم يجده نفعاً . ولا شك انه يعتقد انني لا أزال سجيناً فى قبر توتميس أو انني جثة فى عالم الاموات .

وفى اثناء ذلك كان رامبس يستعلم من جنود الحرس عن الحالة وعن مقدار الخسارة التى منوا بها . وبعد ان وقف على ما يهمه من الانباء التفت الى الملك وقال له : ان خسارتنا باهظة جداً على ما يظهر ولا يستطيع أحد أن يدنو من باحة القصر . والاجدر بنا أن ننظر فى خطة رشيدة للاستيلاء على القصر من دون تعرض لخسارة أخرى لا قبل لنا بها

فأطرق توت عنخ آمون هنيهة ثم قال : لو لم يكن القصر مبنياً من الحجارة الصلبة لسعيت

الى احراقه . ولكن الامر متعذر لا سيما ان فى داخل القصر الاميرة ميريس ونفراً من أتباعنا وقومنا . وعلينا أن نتقدم قبل كل شيء .

ويظهر أن صورة الاميرة ميريس مثلت امام مخيلته فثارت فى نفسه العواطف والذكريات وظل صامتاً هنيهة حتى أخرجه من صمته صوت ساتيري الكاهن وهو يقول له : اذا حسن في عيني سيدى الملك فان عندي خطة نستطيع أن نكفي بها جنود الحرس سفك الدماء لنذهب الى معبد آمون . . .

فتفرس الملك فيه ملياً كأنه يستطلع خفايا نياته ويسائل نفسه هل من الحكمة أن يستسلم الى ذلك الكاهن الذى كان حتى الامس من زعماء أعدائه ؟ على انه لم يقرأ فى محياه أثراً للخيانة ولم يكن ثمة ريب فى أن الكاهن يسعى لانقاذ نفسه بانقاذ حياة الملك

فقال له توت عنخ آمون : اذا كان عندك رأي للنجاة من هذه الحالة فتحفنا به بلا ابطاء لان مجال الوقت ضيق . واذا كان رأيك صواباً فسيقع فاروس في قبضتنا ويصبح تحت رحمتنا فسر بنا الى معبد آمون لنتفاوض في الامر

قال ذلك وألقى وشاحه على كتفه وأومأ الى راميس بان يسير معهما

الفصل الثالث والاربعون

الممر السري

سار الثلاثة قاصدين المعبد الذي كان في احدى ضواحي المدينة . وكان عليهم ان يجتازوا طريقاً رملية لم يكادوا يتوغلون فيها قليلا حتى أخذوا يشعرون بالهواء الحار يهب فى وجوههم وفيما هم سائرون كانت الافكار تتزاحم فى مخيلة ساتيري وقد عادت به الى مجده السابق يوم كان رئيساً لكهنة معبد آمون يتمتع بقسط عظيم من السلطة على الكهنة وعلى الشعب . فحقد على فاروس فى تلك الدقيقة حقداً شديداً لانه علله بالاماني الكاذبة وحمله على الانضمام الى جماعة الثورة فأصبح طريداً شريداً لا يجد له مستقراً

ودنا الثلاثة من شواطىء النيل وقد أخذ المد يشتد فنظر اليه الملك نظرة القلق وهو يتذكر الايام التى قضاها في اللعب على شاطئه مع الاميرة ميريس وقال لراميس : ان النيل في حالة فيضان مزعج وأنت تعلم أن المصريين يؤمنون بالخرافات وأنا أخشى ان هو غمر شواطئه

أن يعتبر الناس ذلك علامة على غضب الآلهة فيعسر علينا اذ ذاك طرد الثائرين

وكان راميس أيضاً يخشى أن يستعين فاروس بحادث من حوادث الانفاق على تحويل المصريين عن حب الملك ولكنه سكت ولم يعرب عن هواجسه .

وواصل الثلاثة سيرهم حتى بلغوا أسوار معبد آمون القائم على ضفاف النهر . فوقفوا يتأملون في جمال ذلك البناء الضخم . ومع ان الوقت كان ليلاً فقد أمكنهم مشاهدة أعمدة المعبد معكوسة فى مياه النيل

وعلم ساتيري أنه ليس له حق فى دخول المعبد فوقف كالحائر أو كأحد المتسولين الذين كانوا يطوفون بذلك المعبد نهاراً ويستعطفون أهل الخير . فتنحى قليلا فاسحاً للملك ليدخل المعبد امامه

فمال الملك الى راميس وقال له همساً : يجدر بنا ان نحتاط لانفسنا لئلا نؤخذ على غرة فقد يسوقنا هذا الكاهن الى المهالك

فهز راميس رأسه علامة أنه أدرك الوصية ثم دنا من الكاهن حتى أصبح لاصقاً به ويده على مقبض حربته . وارتقى الملك سلالم الهيكل العريضة ووراءه راميس والكاهن حتى وصلوا الى الباب الحديدي وكان فى أحد مصراعيه كوّة صغيرة عليها قضبان من الحديد المشبك . فقرع الملك الباب قرعة لطيفة فأطل أحد الخدم من وراء الكوة وما كادت أبصاره تقع على الملك حتى أسرع ففتح الباب ووقف حافي الرأس . فدخل الملك ورفيقاه وحدق الخادم بنظره الى الرفيقين فعرفهما للحال ولم يستطع أن يضبط نفسه عن مخاطبة الكاهن بلهجة شديدة . فقال له : ألم يكفك ما ارتكبته من الجرائم حتى عدت لتستبيح حرمة هذا المعبد ؟ ان الآلهة لن تغتفر لك إثمك بل ستنزل بك أشد ضروب النقمة تحت سقف هذا المكان

فاستولت على الكاهن قشعريرة باردة ولم ينطق بكلمة بل نظر الى الملك نظرة المذلة كانه يستعطفه فقال الملك للخادم : لقد أمرنا ساتيري ان يحضر معنا الى هنا لأمر ذي شأن

فلم يسع الخادم الا الخضوع لارادة الملك . فواصل الثلاثة سيرهم الى داخل المعبد حتى وصلوا الى حجرة داخلية مظلمة . وكان ساتيري يسير امام رفيقيه بخطوات ثابتة لانه يعرف عمار المعبد معرفة جيدة

ولما وصلوا الى الحجرة وقف الثلاثة هنيهة ثم أخرج الكاهن حجر صوان وقدح منه شرارة أضاء بها فتيلاً استعان القوم بنوره على السير في الظلام الحالك . وكانت السلالم تؤدي الى دهليز سفلي والدهليز ينتهي الى قبو لم يكن أحد يعلم به سوى فئة قليلة من رجال

الكهنة . ولما انتهى الثلاثة الى ذلك القبو وقفوا هنيهة ثم أومأ الكاهن الى الملك ورامبس بان يتقدما ويفحصا أحد جدران القبو . وأشار الى رقعة في الجدار عليها آثار الجير (الكاس) كأنها طلاء على نحيته قد أوصدت بها ثغرة أو ممر سري في ذلك الجدار

وقال ساتيري للملك مشيراً الى طلاء الكاس : ههنا يا سيدى ممر سرّي يمتد تحت الصحراء وينتهي الى قبو تحت قصر الملك . وكان سلفك اخناتون قد أنشأه ليزور المعبد سراً كلما عنّ له أن يناجي الآلهة

فقال توت عنخ آمون وقد ساوره بعض الريب : أأنت مؤمن بصحة ماتقوله أيها الكاهن

فأجابه الكاهن : لتشهد شيبتي ولتشهد الآلهة على صحة ماأقول . لقد شهدت سلفك اخناتون مراراً يسير في هذا الدهليز بين المعبد والقصر ليقدم الذبائح للآلهة كلما عنّ له ذلك

فتبادل الملك ورامبس النظرات ثم قال الملك : اذا كان ماتقوله صحيحاً أيها الكاهن فقد أصبح عدونا فاروس ورجاله في قبضة يدنا وتحت رحمتنا . فلنشرع اذن في فتح هذه الثغرة ولنسر في الدهليز

فقال رامبس : ليت سيدى الملك يصغى الى نصيحة عبده . أليس الأفضل لنا ان نعهد في ارتياد هذا الدهليز الى بعض جنود الحرس فاننا لا نعلم الاخطار التي قد تحدق بنا

فضحك توت عنخ آمون وقال : لا أرى داعياً الى ذلك يا رامبس . ولو أن فاروس كان عالماً قبلا بوجود الدهليز لهاجمنا منه منذ زمن طويل . واذا ثبت أن هذا الدهليز ينتهي الى قبو تحت قصرنا فسنستطيع معاقبة أعدائنا بكل سهولة

قال ذلك ثم شرع الثلاثة في نقر الجدار لازالة التحيتة وفتح ثغرة الممر . وكان كل من الملك ورامبس يعمل بحذر وانتباه لئلا يؤخذا على غرة .

الفصل الرابع والاربعون

الاميرة ميريس تجاه فاروس

نترك الملك ورامبس والكاهن يشتغلون بهمة ليفتحوا الدهليز السري وننتقل الى قصر فرعون حيث كان فاروس قد تحصن وتربع على سرير الملك . وكان جنود الحرس مع شدة مامنوا به من الخسارة الفادحة يكرون على القصر لاسترداده فيرتدون عنه وقد زادت

خسارتهم . وكان فاروس كلما نظر الى الساحة التي يشرف عليها القصر يدهش من عناء جنود الحرس واستماتتهم في الكر على الاسوار . وكان يقول في نفسه : عما قليل يدرك قواد الحرس أن من العبث مواصلة الهجوم فانهم يبوءون بالخذلان . ولا شك انهم متى علموا ان توت عنخ آمون قد هلك فسيعودون الى رشدهم ويقدمون لى الطاعة والخضوع

وفي الواقع أن سرور الرجل كان عظيما لا يوصف فان خسارة رجاله كانت طفيفة جداً بالنسبة الى خسارة جنود الحرس . ولذلك كان مطمئناً الى النتيجة واثقاً بحسن الختام

وأجال طرفه في الساحة المشرف عليها القصر . وكان جنود الحرس قد كفوا قليلا عن الهجوم ليستردوا شيئاً من قواهم الضائعة . وانتشر على المكان سكوت وقتي تصاعد من خلاله بعد هنيهة هتاف كاد يشق طبقات الفضاء فانصت فاروس ليستبين الخبر واذا القوم يصرخون : ان الملك توت عنخ آمون حي يرزق!..

فارتعدت فرائص فاروس ولكنه أراد أن يعزّى نفسه فقال : انهم يحاولون أن يأخذوني بالخديعة اذ لا يمكن أن يكون توت عنخ آمون قد نجا من قبر توثميس حياً

ثم أنصت فسمع ذلك الهتاف مرة أخرى . فازداد قلقه وأشتد حنقه وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهاباً . وكان كلما نظر الى ما حوله من مظاهر الملك يخيل اليه أن الآلهة لم تخلقه إلا لتقيمه على مصر . ولكن أنى تتحقق تلك الامنية اذا كان توت عنخ آمون لا يزال بافياً في قيد الحياة كما يشيعون ؟ وهل يمكن أن يتحول المصريون عن حب مليكهم الشاب اذا عاد الى طيبة مرة أخرى ؟

وكانت الافكار المزعجة تتلاعب به في تلك الساعة وهو على أحر من الجمر . وأخذ يعمل فكرته بسرعة لعله يستطيع الوقوف على حقيقة تلك الاشاعة . فخطر له خاطر جهنمي فقال : لقد وجدت لي منفذاً من هذا المأزق . فهناك الاميرة ميريس التي كنت قد نسيتها . وسأستعين بها على قضاء مأربي!

ولم تكد هذه الفكرة تخطر بباله حتى صفق بيديه - فدخل أحد عبيده ملبياً . فقال له : اذهب واحضر الاميرة ميريس الى ههنا . واذا أبت الحضور فاحضرها قسراً

فحيّا العبد وخرج . وظل فاروس يسير في الغرفة جيئة وذهاباً وقد انتقلت به ذاكرته الى يوم سباق المركبات اذ رأى الاميرة ميريس تحت مظلة المصطبة الملكية وعيناها الجميلتان .

تتطلعان الى توت عنخ آمون . وقد عرف منذ ذلك اليوم أنها تحب الملك ولذلك عزم أن يستعين بها على قضاء اوطاره

وبعد قليل فتح باب الغرفة بلطف ودخلت الاميرة وهي تسير بخطوات ثابتة فلما ابصرت فاروس وقفت أمامه بشجاعة وقالت له برباطة جأش : لقد جئتك مكرهة لانى لم أرد أن يدنسني رسولك القذر بيديه . فماذا عسى أن تريد مني ؟ انك تعلم حق العلم أنى لا أعترف لاحد بسلطان فى هذا القصر الا للملك توت عنخ آمون

فأجابها فاروس : ان توت عنخ آمون قد أصبح في عداد الاموات انما هو بعد بحاجة الى اخلاصك ايتها الاميرة

فقالت ميريس : كذبت أيها الخائن فان الملك لا يزال حياً يرزق ولعلك اذا أملت اذنيك الى الخارج تسمع هتاف الجماهير

فحظا فاروس نحوها وهو يرشقها بنظرات حادة كأنه يريد أن يفترسها وقال لها : ان توت عنخ آمون لن يجسر أن يهاجم هذا القصر متى علم أن حياتك معرضة للخطر ... لقد وقفت على سرك ايتها الاميرة وبلغتني الاشاعات العديدة وكلها تؤيد القول أنك تحبين الملك وأن الملك كان عازماً أن يتزوجك ويجعلك مليكة على طيبة . فاعلمي اذن أنه لابد لتوت عنخ آمون من اختيار أحد امرين . فاما أن يرعى عهد حبك أو يواصل عدوانه انا . فاذا لم يقبل شروط الصلح التى سأمليها عليه ولم يرجع بجنوده عن محاصرة هذا القصر فلن يرى وجهك الى الابد

قال ذلك وعلامات اللؤم والنذالة بادية على وجهه . ولكن ميريس لم تعبأ بتهديده بل قالت له : لا يهدد الامرأة العزلاء الا من كان جباناً مثلك . ألا فاعلم انى لا أخشى بأسك ولا أخضع لاوامرك . ولأهون عليّ أن أموت رافعة الرأس من أن اخون توت عنخ آمون أو اساعد عدوه قلامة ظفر

فصاح فاروس بصوت متهدج : اذن سوف نرى

ثم صفق بيديه فدخل أحد رجاله فقال له : ارسل اليّ أماسيس الكاتب ومعه رق فأملي عليه رسالة

فخرج الرجل لينفذ الامر وأخذت الاميرة ميريس تجيل ابصارها حولها وفاروس ينظر اليها نظرة اللؤم والدهاء . وبعد هنيهة دخل الكاتب فأمره فاروس بان يجلس الى منضدة ويكتب ما يمليه عليه . ثم اخذ يسير فى الغرفة جيئة وذهاباً وهو متهيج وأفضى الى الكاتب بالرسالة الآتية :

« اذا أبى توت عنخ آمون أن يبعث برسله الى فاروس لقبول شروط الصلح فستموت الاميرة ميريس قبل أن يغيب قمر هذه الليلة »

فلما فرغ الكاتب من عمله تناول فاروس الرسالة وأعاد نظره عليها وهو يبتسم ابتسامة جهنمية وبعد أن ختمها بخاتمه أضاف اليها عبارة مقلداً بها خط الاميرة ميريس وختمها وهي هذه :

« أرجو من سيدي توت عنخ آمون أن ينقذني من موتة فظيعة »

وبعد أن اكمل الرسالة على ذلك الوجه ختمها باعتناء ثم صفق بيديه فدخل احد عبيده فسلم اليه الرسالة وامره بان يعهد بارسالها الى أحد رماة النبال فيقذف بها بطرف نبلة الى معسكر حرس فرعون لان الحرس كان على أهبة القيام بهجوم جديد . فتناول الرجل الرسالة وخرج . وصعد فاروس الى سطح القصر ليرقب ارسالها . ولكنه ما كاد يصل الى السطح حتى أبصر مياهاً جارفة تتدفق نحو القصر بسرعة . فأدرك انه المدّ وأن النيل قد بدأ يفيض فيضاناً مخوفاً لا بد أن يجرف امامه كل شيء . فارتاع فاروس ومرت بجسمه قشعريرة باردة

الفصل الخامس والاربعون

في الدهليز السري

هذا من كان من شأن فاروس . اما توت عنخ آمون ورفيقاه فانهما دخلا الدهليز السري وسارا على نور مشعل ضئيل قاصدين « الثنية » القصر وقد دهش الملك مما رآه على جدران ذلك الدهليز من النقوش الجميلة والرسوم البديعة . وكان جانب كبير من الجدران مكسواً بألواح من خشب الارز الثمين وكلها منقوشة نقشاً بديعاً يحير الالباب . ومن تلك النقوش صورة للملك اخناتون وهو في هيئة أسد له رأس انسان وحوله جماهير الكهنة وتحت اقدامه اسرى وعبيد كثيرون مقيدون بسلاسل . الى غير ذلك من الصور والنقوش الكثيرة التي اثبتت للملك ولراميس ان ساتيري كان صادقاً في ما رواه لهما عن ذلك الدهليز . فقال راميس وقد خفق قلبه فرحاً بقرب وقوع فاروس في قبضة يده : لن يكون للاعداء مفر هذه المرة اذ لا اخالهم يعلمون شيئاً من امر هذا الدهليز . وسننقض عليهم على غرة ونعمل فيهم حرابنا

فتبسم توت عنخ آمون لما رآه من حماسة راميس وقال له : لا تنس ان عدونا واسع الحيلة شديد الدهاء . فقد لا يعدم وسيلة للنجاة من احرج المآزق فيفلت من قبضتنا

فقال راميس : لقد قضيت وقتاً طويلا وانا اترقب مثل هـذه الفرصة السانحة . وما أظن فاروس ينجو هذه المرة . واذا اعانتني الآلهة فسأنزل به نقمة فظيعة ان هاتفاً ينبئني بان ساعته قد دنت

جرى هذا الحديث واصحابنا الثلاثة يسيرون في الدهليز على نور المشعل كأنهم مقطوعون عن عالم الاحياء . وما زالوا كذلك حتى دنوا من « اقبية » القصر . ثم وقفوا فجأة وامسك راميس بذراع الملك وضغطها ضغطة شديدة وهو يقول : اخشى ان نكون قد وقعنا في فخ . انظر الى الرجلين الواقفين هنالك !

فوقف توت عنخ آمون وحدق ببصره الى الرجلين اللذين أشار راميس اليهما . فأبصر شبح اثنين لا يتحركان وقد وقفا كانهما يحرسان بابا من الابواب . فصاح بهما : من الواقف هنالك ؟ فلم يرد عليه أحـد . فاعاد النداء فلم يكن من مجيب . فغضب راميس من سكوتهما وهجم عليهما قائلا : أيها الكنعانيان الملعونان ما أسكتكما عن تلبية نداء مليككما انكما هالكان لا محالة !

وما وصل اليهما حتى رفع يده ليغمد حربته في صدرهما . ولـكنه توقف فجأة وهو يضحك ويسخر من نفسه لان ذينك الشخصين لم يكونا سوى تمثالين قد بولغ في دقة صنعهما حتى جاءا كاملين لا يعوزهما إلا النطق . فقال للملك وهو خجل : لقد خدعني البصر يا سيدي الملك

فدنا توت عنخ آمون من التمثالين فاذا هما غاية في دقـة الصنع واتقان النحت حتى لم يكن الناظر اليهما الا ليحسبهما بشراً . وفي الواقع انهما كانا شبيهين تمام الشبه بتمثالين كانا يحرسان مداخل مدافن الملوك . وقد كانا واقفين هنالك على منفذ الدهليز الى المؤدى أقبية القصر . فقال توت عنخ آمون : ههنا نهاية مرحلتنا فقد وصلنا الى القصر وما اخال اعداءنا الا في قبضة يدنا

قال ذلك وتقدم لينزع مزاليج الباب الصغير الذي كان ذانك التمثالان واقفين على حراسته وهو الباب الذي يؤدي الى « أقبية » القصر . ولـكن راميس وقف قائلا : أرى من الحـكمة أن نستدعي رجال الحرس اذ ما الذي نستطيع أن نفعله وحدنا بازاء أعدائنا الـكثيري العدد ؟

فقال توت عنخ آمون : صدقت فيجب أن نعود الى الحرس ونجيء بهم ومن العبث أن يواصلوا هجماتهم على القصر اذ من المحال أن يستولوا عليه عنوة

« ستأتي البقية »

الاوراق المالية المصرية

الفرق بين اسعار اهمها فى شهر

فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٥		فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٢٥	
الموحد	٨٣ ٥/٨	٨٤ ١/٢	جنيه
الممتاز	٧٣	٧١ ٧/١٢	»
البنك الاهلى	٣٣	٣٣ ٣/٨	»
» الزراعى	٨ ١/٢	٨ ٥/٨	»
اسهم العقارى	٩٩٥	٩٨٥	فرنك
السندات الاولى	٤٩٢	٤٩٨	»
» الثانية	٣١٧ ١/٢	٣١٧	»
» الثالثة	٢٩٧	٢٩٨	»
السويس ٥ بالمائة	٤٥٥	٤٦٣ ١/٢	»
» ٣ »	٣٢٠	٣٣٠	»
هليوبوليس	٣٤٤	٣٤٦ ١/٢	»

المجلة الشهرية

فهرس الجزء العاشر (نوفمبر) من المجلد الاول

صفحة		صور
١١٢١	مصطفى كامل ولطيفه خانم	٢
١١٢٦	العلم سنة ٢٤٢٤	٢
١١٣٥	غندى الزعيم الهندي	٢
١١٤٠	شهداء العلم	٥
١١٤٥	بين باريز ونيويورك	٢
١١٤٧	خطأ القضاة في المحاكم الانجليزية	
١١٥٦	مخاطر الاسفار القطبية	٥
١١٦٦	الى المتعلقين بعلوم الخيال	
١١٧٢	مخاطر الطيران	٤
١١٧٩	سبب الموت	١
١١٨٢	ينحتون في الجبال تماثيل	٤
١١٨٦	مستقبل اميركا	١
١١٨٩	العناية بالمسلولين	
١١٩١	اقبح الحيوان في اسر الانسان	٥
١١٩٥	البلاغة وتعريفها	
١١٩٨	سياحة في الحبشة	٨
١٢٠٤	نكات عن القواد الانجليز	
١٢٠٥	فوضى البناء في القاهرة	
١٢٠٧	كتب الشهر	
١٢١١	مصر فى شهر	

فالمجموع ٢٠ مقالة و ٤١ صورة

﴿ المطبعة التجارية الكبرى بشارع عابدين حارة فايد رقم ٣ تليفون ٦١٠٩ ﴾